أحمد خليل الشال

أمين الأمة

أبو عبيدة بن الجرّاح

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

تليفون : ٧٩٥١٧٤٨ - ٣٩١٠٣٥٤ فاكس : ٧٩٤٦٠٣١



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد

فإن الحديث عن صحابة رسول الله ﷺ ليثير فى النفس أشجاناً وأشواقاً لما لهم من فضائل جليلة، وخلال حميدة. وكفى أنهم أصحاب خير الأنام وسيد المرسلين النبى الأمى محمد بن عبدالله ﷺ ورضى الله عنهم وأرضاهم.

ونحن هنا إذ نختار أحد هؤلاء الصحابة الكرام، فنعرض سيرته الجليلة، وفضائله العظيمة، علنا نقتدى بها، ونتخذ منها نبراساً فى زمان نُسِّى أبناؤه تاريخ هذا السلف العظيم.

والصحابى الذى سنفتح معاً صفحات سيرته اليوم من أجلّ الصحابة خلقاً، وأعظمهم أمانة، إنه أمين الأمة أبوعبيدة بن الجراح، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحب الصحابة إلى رسول الله بعد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وحين فتحنا صفحات تاريخ هذا الصحابى الجليل، وجدنا سيرته أنواراً مشرقة، تفيض حكمة وجهاداً، وإيماناً.. وأمانة.. والعجيب أنه مع عظيم شخص هذا الصحابى الأمين، وعظم ما أداه فى سبيل الله، لم نجد فيه دراسة تشفى الغليل، أو تجلى لنا نور هذا الجليل، فرأيتنى أخطو خطوة متواضعة فى هذا السبيل، علّها تشفى الغليل. فدخلت بستان تاريخنا المشرق لأجمع رحيق سيرة هذا الصحابى الكريم، فوجدتنى أجمع دراً منثوراً، على صفحات الكتب لامعة متلألأة. ثم رحت أنظمة، فكان عقداً منظوماً فى سيرة هذا الأمين هو هذا الكتاب المتواضع الذى أرجو من الله تبارك وتعالى أن يأجرنا عليه، كما أرجوه عز وجل أن يفيد قارءه.

هذا وقد انطلقت فى سيرة هذا الصحابى الجليل من منطلق أعظم خلاله، وهى أمانته رضي الله عنه التى قال فيها رسول الله ﷺ: **«إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا**

أيتها الأمة أبو عبيد بن الجراح». تلك الأمانة التى جعلت عمر يتمنى لو أن صاحبها كان على قيد الحياة وقت وفاته فيجعله خليفة من بعده إذ يقول: «لو أدركت أباعبيدة بن الجراح لاستخلفته وماشورت، فإن سئلت عنه قلت استخلفت أمين الأمة».

ومن ثم فقد كانت حياة هذا الصحابى الجليل أمانة كلها، يؤديها صاحبها فى سبيل خالقه ونبيه، وصالح المؤمنين. وعلى هذا، فقد جعلت ماقام به فى حياته من مهام أمانات كان يؤديها فى سبيل الإسلام وليست مهام عادية كغيره من البشر، وقد أكد أبو عبيده نفسه هذا المعنى حين قال عند وفاته «أقرءوا أمير المؤمنين السلام، وأعلموه أنه لم يبعد من أمانتى شىء إلا وقد قمت به وأديته..»

فكان هذا دليلاً قاطعاً على أن حياة هذا الصحابى وما كان فيها من مهام وجهاد إنما كانت أمانة أداها ﵁ بخير ما يكون.

فرحم الله هذا الصحابى الجليل ورضى عنه وأرضاه. ونسأل الله تبارك وتعالى أن يحشرنا معه ومع نبيه ﷺ وآله وسلم.. أمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد خليل الشال
بورسعيد. ١٠ رمضان ١٤٢١
٦ ديسمبر ٢٠٠٠

الفصل الأول

بيئته وقومه
أولاً : مكة

نشأ أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فى بلد مقدس، وبقعة مباركة طاهرة، كان لها أثرها فى نشأة هذا الصحابى الجليل، لذلك رأيت أنه لاينبغى أن نمر عليها دون التعرض لها بشىء من التعريف.

هذه البقعة المباركة هى مكة المكرمة..

وقد اختلفت الأقوال فى تحديد معنى اسمها «مكة». ولعل أبرز ماقيل فيه: أنها سميت مكة لأن الناس عُبِّدت فيها، فيأتونها من جميع الأطراف، لقولهم: «امتك الفصل (1) أخلاف (2) الناقة» إذا جذب جميع مافيها جذباً شديداً فلم يُبق فيها شيئاً (3).

وتقع مكة فى وادٍ على شكل سهل منبسط تحيطه جبال ذات شعاب إحاطة كاملة. وقد قامت هذه الجبال بدورها الدفاعى فى حماية هذا البلد الشريف على مر الزمان (4).

ومن أبرز الجبال المحيطة بمكة سلسلتان مزدوجتان فى الشرق والغرب، فإلى الشرق يمتد جبال أبى قبيس وإلى الغرب يربض جبل قيعقعان (5). وقد وصفها ناصر خسرو (6) وصفاً جيداً عند زيارته لها سنة ٤٤٢ هـ بقوله: «تقع مكة

(1) الفصيل: ولد الناقة. (2) أخلاف: جمع خلف، وهو ضرع الناقة.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموى ١٨٢/٥.

(4) مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول، د. أحمد الشريف، ص٢٨، ٢٩.

(5) تاريخ العرب فى عصر الجاهلية، د. السيد سالم، ص ٣٤٩، ٣٥٠.

(6) ناصر حسرو: شاعر فارسى شيعى إسماعيلى، زارالعديد من البلاد العربية والإسلامية فى القرن الخامس الهجرى. وقد أثبت هذه الزيارات فى كتابه «سفر نامة».

بين جبال عالية، ولاترى من بعيد من أى جانب يقصدها السائر، وأقرب جبل هو جبل أى قبيس، وهو مستدير كالقبة، لو رُمى سهم من أسفله لبلغ قمته. وهو شرقى مكة، فترى الشمس من داخل المسجد.. وتشغل هذه المدينة الوادى الذى بين الجبل والذى لاتزيد مساحته عن رمية سهمين فى مثلها، والمسجد الحرام وسط هذا الوادى. ومن حوله مكة والشوارع والأسواق [١] » أما عن مناخها، فهو قارى، شديد الحرارة فى الصيف، قليل الأمطار فى الشتاء.

وتتسم مكة بفقر فى الموارد المائية، ولهذا اعتمدت بشكل كبير على مصادر المياه الجوفية، فحفرت بها الكثير من الآبار على مدار تاريخها، ولكن أهمها على الإطلاق بئر زمزم، التى عفت على ماسواها من آبار مكة، وذلك لمكانها من البيت وفضلها على ما سواها، لأنها بئر إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام [٢].

---

(١) سفر نامة، ناصر خسرو، ص ١٣٨

(٢) أخبار مكة، أبو الوليد الأزرقى، ص ٤٤.

ثانياً: قريش

وقريش: هو النضر بن كنانة، وذلك لحديث الأشعث بن قيس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نحن بنو النضر بن كنانة» (١).

قال ابن هشام: «النضر هو قريش، فمن كان من ولده فهو قرشى، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى» (٢).

وقريش تصغير «القَرْش»، وهو الجمع والكسب من ههنا وههنا بضم بعضه إلى بعض (٣).

وسميت قريش قريشاً، لتقرشها وتجمعها إلى مكة من حواليها. أو لأنهم كانوا أصحاب تجارة (٤). أو للاثنين معاً.

وجماع قريش هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة (٥). وموحدها من بعده قُصَىّ بن كلاب.

- نسب قريش:

يعود نسب قريش إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، فقريش أبوها النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان حفيد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام (٦). وهكذا فأصول قريش ذات تاريخ عريق، يعود إلى إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام، فهم أول من نزل مكة يوم أن كانت صحراء قاحلة مقفرة، وهم مؤسسو هذا البلد المبارك بإذن

(١) أخرجه أحمد وابن ماجة، وقال فيه ابن كثير: إسناده جيد قوى. انظر البداية والنهاية ١٥٩/٢. وهناك اختلاف كبير فى المصادر فى تحديد من هو قريش، فمنهم من يقول هو فهر بن مالك بن النضر. وهو المشهور بين النسابين. ومنهم من يقول هو جده النضر بن كنانة. وهذا هو ما اتبعناه لوجود الدليل الذى أوردناه، وهو حديث رسولنا ﷺ. قال ابن كثير «وهو - أى الحديث - فيصل فى هذه المسألة فلا التفات إلى قول من خالفه». وبهذا قال القسطلانى فى إرشاد السارى «إن قريش هو النضر وهو الصحيح».

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ص ٨٦

(٣) لسان العرب ٢٣٤/٦.

(٤) معجم البلدان ٣٣٦/٤.

(٥) تاريخ الطبرى ٢٦٢/٢.

(٦) تاريخ الطبرى ٢٦٢/٢ - ٢٧٦. تاريخ اليعقوبى ٢٢٢/١.

ربهم، وذلك لما رواه البخارى عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام جاء بهاجر وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند المسجد الحرام وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً من تمر ثم تركها إبراهيم وانطلق، فتبعته أم إسماعيل فقالت: ياإبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولاشىء؟ فقالت له مراراً، وجعل لايلتفت إليها، فقالت: آللّه أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لايضيعنا.. ثم يفجر اللّه لها زمزم. وظلت هاجر كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم (١)، فنزلوا عند هاجر بمكة على أن ليس لهم فى الماء شىء إلا مايشربون منه وينتفعون به، فاستأنست هاجر بهم، وشب إسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية، فأنطقه اللّه بها بأحسن بيان وبأفصح مايكون. وأعجبت جرهم بإسماعيل فزوجوه امرأة منهم. وكان إبراهيم يأتى لزيارة أهله مراراً حتى بنى فى الأخيرة منها بيت اللّه الحرام (٢).

ويلى إسماعيل أمر البيت والنبوة إلى أن يلحق بالرفيق الأعلى فيتولى أمر البيت من بعده ابنه نابت، ولكن يتغلب الجرهميون على البيت، فحكموا مكة بزعامة جد نابت وهو الحارث بن مضاض الجرهمى لاينازعهم ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم، وذلك تعظيماً للبيت والحرم (٣) ولكن بغت جرهم بمكة بغياً عظيماً، فيبعث اللّه عليهم قوماً أولى بأس شديد فجاسوا خلال ديارهم، وهمس خزاعة الذين وفدوا إلى مكة قادمين من اليمن بعد انهيار سد مأرب بسيل العرم، فيقاتلونهم، ويعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين حتى غلبت خزاعة وطردت جرهم من البيت ومن مكة كلها وتتولى خزاعة أمر البيت ومكة بزعامة عمرو بن الحى، الذى هو أول من غير دين إبراهيم، وحرض العرب على عبادة الأوثان. وآخر من ملك أمر مكة من خزاعة هو حُلَيْل - بحاء مهملة - بن حُبْشية. ثم يتولى أمر مكة من بعده قُصَىّ بن كلاب بن قريش. أما عن ولد إسماعيل فإنه بعد غلبة جرهم ومن بعدهم خزاعة يتوالى نسل بنى إسماعيل حتى

---

(١) جرهم: قبيلة من قبائل العرب الأولى من أبناء سام بن نوح.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبى ٩/٣٦٨ - ٣٨٩. تاريخ ابن خلدون ٢/٤٠ - ٤٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٩٦.

يأتى عدنان حفيد إسماعيل عليه السلام، وعنده تتضح بقوة شجرة النسب لقريش على النحو التالى:

عدنان ← معد ← نزار ← مضر ←إلياس ← مدركة ← خزيمة ← كنانة ← النضر (قريش) ← مالك ←فهر

غالب (رهط رسولنا الكريم (ﷺ) ← لؤى ← كعب

الحارث (رهط أبى عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه))

← مرة ← كلاب ← قصىّ

ـ الحالة الاجتماعية:

تحددت معالم الحياة الاجتماعية فى قريش عند قصى بقوة، حيث إنه موحد ومجمع فى يديه قريش بعد فهر، بعدما قاتل وصارع وتحايل حتى جمع فى يده ويد بنيه من بعده زعامة مكة كلها، بل والعرب كلهم، وذلك بسيطرته على البيت ومكة عقب آخر حاكم خزاعى عليهما، وهو حُليل بن حُبْشِية، فقد تزوج قصى ابنة حليل قبل موت الأخير، ولكن لم يلبث حليل أن مات ليستولى قصى بعد موته على مكة والبيت فيجعلهما فى عقبه من بعده، بعد طرد خزاعة من مكة. وهكذا يعود الحق إلى أصحابه بعد قرون طويلة من وفاة نابت بن إسماعيل، فيرجع البيت العتيق وترجع مكة إلى بنى إسماعيل ممثلاً هذا فى قصى.

بعدما استقام الأمر لقصى، رأى قومه ـ كما ذكرنا ـ أشتاتاً ممزقة كل ممزق، لذلك صار حتماً عليه ـ بعد استقرار الأمر فى يده ـ تشكيل المجتمع القرشى وتجميعه، فجمع قبائله وأسكنها مكة بعد أن كانت هذه القبائل متفرقة الدار، قليلة العز، ذليلة البقاع.

وملّكه قومه عليهم، وصار له بينهم شأن، فكانوا يرون أمره كالدين المتبع، فكان لاينكح رجل من قريش ولايتشاورن فى أمر ولايعقدون لواء الحرب إلا بأمره، فأنشأت لذلك دار الندوة. وينجب قصى: عبد مناف، وعبدالدار، وعبد العزى، وعبد قصى وبهم يتحدد الهرم الاجتماعى لقريش.

الحالة الاقتصادية:

من المعروف أن مكة بلد غير ذى زرع، فهى فى الأصل بلد جدب مقفر من كل الموارد الاقتصادية تقريباً. فكانت لهذه الظروف الاقتصادية أثرها فى أهل مكة - قديماً - للبحث عن مصدر اقتصادى يمكن العيش منه، وهنا تتبدى أهمية الموقع الجغرافى الممتاز لمكة، والذى وجهها تلقائياً للنشاط التجارى كأبرز نشاط اقتصادى أُعتبر هو أساس الحياة الاقتصادية وعمادها فى مكة وقتئذ، فمكة كانت تقع فى وسط طريق التجارة البرى المار بالحجاز.

وقد تركزت حركة التجارة المكية على محورين رئيسيين، هما: محور الشمال، ممثل فى الشام. ومحور الجنوب ممثل فى اليمن. وهذان المحوران هما رحلة الشتاء والصيف التى ذكرها ربنا عز وجل فى كتابه الحكيم ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (١).

ولايمكننا أن نغفل عن النشاط الرعوى كمظهر من مظاهر النشاط الاقتصادى فى مكة، والذى كان يمدها بالطعام والسقاء (اللحم واللبن). أما عن النشاط الصناعى فلم تكن له ملامح قوية كمظهر رئيسى من مظاهر الحياة الاقتصادية فى مكة آنذاك، وإنما نشأ بسيطاً لسد ضروريات الحياة من غزل ونسج.. وماشابه ذلك. وكانت أهم الصناعات آنذاك صناعة السلاح، تلك الصناعة التى فرضتها طبيعة أهل مكة كأهل كرّ و فرّ - شأنهم فى ذلك شأن العرب فى ذلك الوقت - فكانت صناعة السيوف والرماح والقصى.. فترتب على ذلك وجود صناعات أخرى كالحدادة والنجارة.. وغير ذلك (٢).

الحالة السياسية:

اتضحت ملامح الحياة السياسية لقريش فور تنظيم قصى الحياة الاجتماعية فى مكة بتوحيده لقريش، ثم اعتلائه عرش حكمها، فكان هو رأس النظام السياسى فى مكة، فأقام نظاماً سياسياً منظماً يحكم كيان هذا المجتمع الناشىء.

(١) سورة قريش ١، ٢.

(٢) للمزيد عن الحالة الاقتصادية فى مكة، انظر: مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ﷺ، د. أحمد الشريف، ص٢١٩ - ٢٤٣.

وكان قصى هو صاحب السلطات التشريعية والتنفيذية فى مكة حتى وفاته، ولكن قبيل وفاته ترك سلطاته السياسية لابنه عبد الدار، الذى نافسه أبناء أخيه عبد مناف، فصارت الحجابة [1]، واللواء [2]، والندوة فى يد عبد الدار. وتصير السقاية [3] والرفادة [4] فى بنى عبد مناف. وهاتان الوظيفتان كانتا من أهم الوظائف السياسية فى مكة آنذاك لارتباطها بالحج، أقدس عبادة عن العرب. وكان القائم بهاتين الوظيفتين هاشم بن عبدمناف. وقد نالت مكة على يديه وأيدى إخوته شرفاً عظيماً، ليصبح هاشم بذلك زعيماً لمكة كلها، وإن لم تجتمع له كل المناصب كما كان الحال مع جده قصى [5].

ثم يموت هاشم لينتقل الأمر تدريجياً إلى ولده عبدالمطلب - وذلك فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى - فيتولى بدوره السقاية والرفادة. كما كان له دوره الهام فى توجيه السياسة المكية على صعيديها الداخلى والخارجى. وقد شرف شأن عبدالمطلب فى قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه [6] كما لاينبغى أن نغض الطرف عن دور البيت الحرام فى تدعيم مركز مكة السياسى فى الجزيرة العربية كلها، فقد كان للبيت أهميته العظمى فى تنصيب قريش منصب الزعيم على قبائل العرب جميعها آنذاك. بلا منازع.

أما عن السياسة الحربية، فمعلوم أن العرب قديماً فطروا على حياة الحرب، تلك الفطرة التى غرست فى نفوس أبناء قريش لتصنع لنا صناديداً حملوا بعد ذلك رايات الإسلام إلى شتى بقاع الأرض، كان منهم أبو عبيدة، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وخالد.. فقريش على سمو شأنها - اقتصادياً ودينياً واجتماعياً ونسباً - كان ينبغى أن تجعل لنفسها سياسة عسكرية، وقوة حربية

(١) الحجابة: هى حجابة الكعبة، وفتح بابها، وولاية أمرها.

(٢) اللواء: وهو عقد راية الحرب.

(٣) السقاية: وهى سقاية الحاج الماء المحلى باللبن والتمر والزبيب.

(٤) الرفادة: وهى إطعام الحاج. فرضه قصى على قريش بقوله: إنهم - الحجاج - ضيوف الله، ولابد من إكرام ضيف الله.

(٥) مكة والمدينة فى الجاهلية وعصر الرسول ﷺ ص ٢٤٨.

(٦) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ٧١٢.

تحمى به كيانها ضد أى عدوان قد يطرأ، وترغم بها أنف من قد تطاوعه نفسه للخروج عليها. وقد ظهرت هذه السياسة وتكونت قوتها مع حرب قصى لخزاعة وإخراجهم من مكة حين تظاهر عليهم فجمع عصبيته وهَمَّ بإخراجهم وإرغام كل من تسول له نفسه بسط أى سلطة على مكة غير القرشيين.

هذا وقد بسطت لنا كتب التاريخ كثيراً من أيام قريش وحروبها مع غيرها من الخصوم. من هذه الأيام يوم ذات نكيف، وحرب الفجار التى كان من قوادها عبدالله والد أبى عبيدة بن الجراح (1).

الأخلاق:

اتسمت قريش كغيرها من العرب بالأخلاق العربية الأصيلة التى كانت شرفاً لهم فى جاهليتهم رغم وثنيتهم. ومن هذه الأخلاق:

١ - الكرم: فكان الكرم غرة فى جبين صاحبه، فكانوا يتبارون فيه ويفتخرون به، حتى أنهم قد استنفدوا فيه نصف أشعارهم. والعجيب أنهم كانوا يعتبرون شرب الخمر ولعب الميسر من مظاهر الكرم، فكانوا يتمدحون بالأولى لأنها سبيل من سبل الكرم عن طريق السرف الذى يكون فيه صاحبه عند سكره. والميسر لأنهم كانوا لا يأخذون مما يربحون شيئاً، بل كان يُطْعَم به المساكين.

٢ - الوفاء بالعهد: فالعهد عندهم كان ديناً يتمسكون به ولو كان فيه هلاك أنفسهم وأهليهم.

٣ - عزة النفس: وعدم قبول الخسف والضيم، ونتج عن هذا الخلق فرط الشجاعة، وشدة الغيرة، وسرعة الانفعال.

٤ - المضى فى العزائم: فإذا عزموا على شىء يرون فيه المجد والافتخار لايصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم فى سبيله.

٥ - الفطرة البدوية: التى نتج عنها الصدق، والأمانة، والنفور عن الخداع والغدر (2).

---

(١) نفس المصدر، ٣٦٢/١

(٢) انظر فى الأخلاق: الرحيق المختوم، الباركفورى، ص ٤٢، ٤٣.

وهكذا نرى أن هذه الأخلاق رغم أنها كانت فى بيئة وثنية، إلا أنها صدق فيها قول القائل [1]: «نرى أن هذه الأخلاق الثمينة.. كانت سبباً فى اختيارهم لحمل الرسالة العامة، وقيادة أمة الإنسانية والمجتمع البشرى».

الحالة الدينية:

يحتاج منا الحديث عن الدين فى مكة إلى وقفة متأملة، فمكة قد جعلها الله أرضاً مقدسة منذ خلق الأرض وما عليها، وعلة قداستها احتواؤها على أعظم وأطهر بيت وجد على وجه الأرض، وهو بيت الله الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [2] ذلك البيت الذى رفع قواعده أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [3].

وهكذا نرى أن الله قد حرم هذا البلد المبارك منذ أمد بعيد، وعلى هذا فالتوحيد - وهو الإسلام - كان الأصل فى هذا البلد الأمين، حتى احتال الشيطان أهل هذا البلد على أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا. فإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - وهما أول من سكن مكة - لم يكونا إلا مسلميْن لله رب العالمين، ولم يكونا أصحاب ملل أخرى، هذا لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى ارتضاه الله لخلقه منذ خلق الكون وإلى قيام الساعة، ولم يجعل لهم ديناً آخر [4].

---

(١) المباركفورى، الرحيق المختوم، ص ٤٣

(٢) آل عمران ٩٦. (٣) البقرة ١٢٦.

(٤) يجدر بنا هنا أن نوضح معنى الإسلام، فبعض الناس يقصر رسالة الإسلام على بعثة نبينا المصطفى ﷺ. ولكن الإسلام فى الحقيقة عقيدة أزلية، وكيف لا وهو دين الله «إن الدين عند الله الإسلام» فالإسلام فى أصله هو التسليم بالتوحيد لله رب العالمين. وهذا هو عقيدة الأنبياء كلهم أجمعين دون جدال وإن إختلفت شرائعهم، فالدين شىء، والشريعة شىء آخر، فالدين هو العقيدة، والعقيدة هى الإله المعبود. أما الشريعة فهى المنهاج الذى يسير عليه الناس فى سبيل عبادتهم لله الواحد، ودليل ذلك قوله عزل وجل «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» ومن ثم فهناك شريعة التوراة وشريعة الإنجيل، ثم نسخت كل هذه الشرائع بشريعة القرآن. وعلى هذا فليس هناك نبى يهودى أو نصرانى، وإنما كلهم عليهم السلام - أنبياء مسلمون، دينهم واحد. ولهذا فلا يجوز لنا أن نقول أديان سماوية، ولكن قل رسالات أو شرائع سماوية. والأدلة على هذا من القرآن والسنة كثيرة جداً.

انظرها فى: الإسلام دين الله فى الأرض والسماء، د. جمال عبدالهادى.

ولكن ماحدث أن اللاحقين على إبراهيم وإسماعيل من العرب أحدثوا فى دينهم - الإسلام - بدعاً أخرجته من صورته التوحيدية النقية السامية التى نزل بها من عند الله، إلى صورة الشرك وعبادة الأوثان.

ولم تنشأ هذه الصورة هكذا بغتة، وإنما هى خطوات استدرج بها الشيطان أهل التوحيد ليشركوا بالله الواحد القهار حتى عبدوا الأوثان. وبدأت هذه الخطوات منذ زمن نوح عليه السلام، حين سوَّل الشيطان لقومه أن يعبدوا الصالحين من قومهم، وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً، ثم انتهت باللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى.

وعلى هذا فمكة قد استدرجت إلى عبادة الأصنام بعد توحيد وإسلام. وظل الإسلام يجاور البيت العتيق حتى جاءت خزاعة وزعيمها عمرو بن لحى الخزاعى، الذى كان هو أول من غير دين إبراهيم فى مكة والجزيرة العربية. فيُذكر أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره فرأى قوماً يعبدون الأصنام، قال لهم: ماهذه؟ فقالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونى منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟

فأعطوه صنماً يقال له هبل، فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته (١)، ليكون بداية للكم الهائل من الأصنام الذى جلبه عمرو بن لحى بعد ذلك حتى صارت ستمائه وثلاثين صنماً، وضعت كلها حول حول البيت الحرام (٢) ولكن مع ذلك الشرك الذى طغى على مكة، ظلت هناك بقية على دين إبراهيم سُمُّوا بالحنيفيين، ومن هؤلاء: قس بن ساعدة الإيادى، وأمية بن الصلت، وورقة بن نوفل، وزهير بن أبى سلمى، وكعب بن لؤى (جد رسول الله ﷺ، وزيد بن عمرو بن نفيل..

هذه هى الحالة التى كانت عليها مكة قبل البعثة، حتى قدمت البعثة المشرفة لتعيد لمكة عقيدتها الأزلية بصورتها النقية.

---

(١) سيرة ابن هشام ٧٢/١. تاريخ اليعقوبي ص ٢٥٤.

(٢) الرحيق المختوم، ص ٣١.

البعثة المطهرة:

كانت مكة قبل البعثة تموج فى بحر من الظلمات، ظلمات الجهل والوثنية والشرك، فكانت البشرية فى هذا الوقت فى حاجة ماسة إلى من يعيد إليها كرامتها وفطرتها.. كانت فى حاجة إلى ميزان يعيد للحياة فطرتها السوية. وهذا الذى سيعيد للبشرية كرامتها لابد وأن يكون نبياً مرسلاً من قبل الله يوحَى إليه. وهذا الميزان الذى سيعيد للحياة فطرتها لابد وأن يكون دستوراً سطرته يد إلهية حكيمة. فكان النبى محمداً ﷺ، وكان الدستور قرآناً كريماً يتلى إلى قيام الساعة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (١). فكانت البعثة النبوية المطهرة التى قلبت موازين البشرية، بل قل عدلت موازين الأرض بعدلها وكتابها ورسالتها السامية.

ودعونا نشير فى عجالة إلى أبرز عناصر التغيير التى أحدثتها البعثة المطهرة فى مكة.

ـ كان الناس عبد الطاغوت، فحررهم الإسلام من عبادة غير الله، إلى عبادة الله الواحد القهار.

ـ كان المجتمع المكى يقوم على مبدأ التمايز الطبقى، فهذا سيد لأن جاهه النسب وماله الحسب، وهذا حقير مستضعف لأنه لانسب له ولا مال.. فجاء الإسلام بمبدأ الناس سواء كأسنان المشط، لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

ـ كان العرب ممزقين كل ممزق، كانوا أحزاباً متفرقة قامت كلها على عصبية جاهلية أدت إلى كثرة الحروب والنزاعات الدموية، فكانوا يقتلون أنفسهم، ويخرجون فريقاً منهم من ديارهم، ويسبون نساءهم، ويرملون أبناءهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فى سبيل الجبت والطاغوت، فجاء الإسلام ليوحد شملهم، ويجمع شتتاتهم، فشملهم بعباءة الإسلام، فأبطل كل عصبية سوى العصبية لله والرسول وصالح المؤمنين.

ـ كانت مكة قبيل البعثة تسودها الفوضى فى كل شىء، عقدياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، واقتصادياً.. فآلهتهم لم يكن لها حصر يعبدونها من دون الله. وحياتهم

(١) سورة الحديد ٢٥.

الاجتماعية كانت قائمة على قاعدة الطبقية، فهذا سيد له كل شىء، وهذا عبد لايملك أى شىء، بل كان هو نفسه مملوكاً لسيده دون أن يكون له أى حق من حقوقه كإنسان، فكان يعامل معاملة المتاع والحيوان. أما عن حياتهم الأخلاقية، فقد ضرب الفساد بأطنابها، فكثرت البغايا، وانتشر الزنا، ووئدت البنات.. أما عن حياتهم الاقتصادية، فأساس معاملاتها الربا، فكانت الحقوق تُهضم، والمال كان يسلب دون وجه حق.. حتى جاء الإسلام، فأصلح هذا الفساد. فأمر بالتوحيد الخالص لله، ونبذ كل إله سوى الله. وجاء بالمساواة، فلا يفضل السيد على العبد بشىء، بل رُب عبد عند الله خير من سيد. ثم نهى الإسلام من كل خُلُق ذميم، فحرم الزنا ونهى عن الوئد، وحرم قتل النفس إلا بالحق، وحرم الخمر، والميسر.. كما جاء بنظام اقتصادى قام على العدل، واعتبار مصالح الآخرين، فحرم الربا وأكل مال الغير دون وجه حق.

خلاصة القول أن مقدم البعثة المطهرة كان بمثابة ثورة دينية وسياسية واجتماعية.. أو بمعنى آخر هو انتقال حاكم فى تاريخ مكة والجزيرة العربية، بل والعالم أجمع من عهد الظلام إلى عهد النور. ولاشك أن البعثة كانت كسابقتها من حركات الإصلاح الإلهى للبشرية التى قادها رسل سابقون على محمد ﷺ، فقد واجهت قوماً عارضوها بكل السبل، كعادة الناس حين يألفون مايجودن عليه آباءهم ثم يأتى من يسفه أحلامهم ويعيب آلهتهم.. فهذا كان هو حال قريش مع رسول الله ﷺ، كذبوه وآذوه هو ومن اتبعه رافضين كل ما جاء به من مبادىء سامية. فظلوا به وتربصوا حتى أجمعوا أمرهم وكيدهم على قتله. وهنا يأتى الأمر الإلهى للرسول الكريم بالهجرة هو ومن اتبعه من المسلمين إلى المدينة المنورة ليبدأ للدعوة الإسلامية عهد جديد، يُؤَسس فيه لأعظم دولة بأيدى أعظم أمة. أمة قامت بسواعد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. وكان من هؤلاء الصادقين أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح.



الفصل الثاني

أبو عبيدة بن الجراح

أولاً : نسبه وصفته

- نسبه:

هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك، من بنى النضر بن كنانة، وهم آخر بطون قريش (١).

اشتهر بكنيته «أبو عبيدة» ونسبته إلى جده الجراح (٢). وهو من قريش من نسل النضر، ويجتمع مع النبى ﷺ فى فهر (٣). أبوه هو عبدالله بن الجراح، كان من مشركى مكة، وقد قتله ولده أبو عبيده بنفسه يوم بدر.

أما أمه، فهى أم غنم بنت جابر بن عبد العلاء بن عامر بن عميرة بن وديعة بن فهر (٤). وقد أدركت الإسلام وأسلمت (٥). وهى من بنات عم أبيه (٦).

- صفته:

كان أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه رجلاً نحيفاً، معروق الوجه (٧)، خفيف اللحية، طوالاً، أجناً (٨)، أثرم الثنتين (٩)، وسبب ذلك انتزاعه رضي الله عنه حلقتى المغفر اللتين دخلتا فى وجنتى رسول الله ﷺ يوم أحد، فصار بعدها أهتما (١٠)، وكان

---

(١) نسب قريش ص ٤٤٤، ٤٤٥. الطبقات ٣١٢/٢ سير أعلام النبلاء ٥/١. أسد الغابة ٢٤/٣. الاستيعاب ٧٩٢/٢. تهذيب الكمال ٥٢/١٤. تاريخ دمشق ٤٣٥/٢٥.

(٢) أسد الغابة ٢٤/٣. الإصابة ١١/٤

(٣) فتح الباري ١١٧/٧

(٤) المعجم الكبير، الطبراني ١٥٤/١. ويقال أيضاً اسمها أميمة بنت الحارث. تهذيب الكمال ٥٣/١٤.

(٥) المستدرك، الحاكم ٢٦٢/٣.

(٦) فتح الباري ١١٧/٧.

(٧) معروق الوجه: نحيف قليل اللحم

(٨) الأجنأ: الذي في كاهله - أعلي الظهر - انحناء على صدره وليس بالأحدب.

(٩) الطبقات ٣١٦/٣. وأثرم الثيتين. مكسور سنتي المقدمة.

(١٠) الهَتْم: انكسار الثنايا من أصلها.

من هذا الثرم أن حسنت فاه، فقيل: ما رؤى هتم قط أحسن من هتم أبى عبيدة[1]. وكان يخضب بالحناء والكتم[2]. وكان لأبى عبيدة عقيصتان. وقد ورد عن النبى ﷺ ثناؤه على بعض هيئة أبى عبيدة، فقد روى عن أبى بكر قال: «سمعت رسول الله ﷺ قال لأبى عبيدة ثلاث كلمات، لأن يكون قالهن لى أحب من حمر النعم. قالوا: ما هن يا خليفة رسول الله؟ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، فقام أبو عبيدة، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره ثم أقبل علينا، فقال: إن هنا لكفتين مؤمنين»[3]. فأبو عبيدة كان أحنى الكاهل قد أشرف كتفيه على صدره. وعن جابر عن رسول الله ﷺ أنه طعن فى خاصرة أبى عبيدة وقال: «إن ههنا خويصرة مؤمنة»[4].

ثانياً: مولده ونشأته

لم تذكر المصادر عن مولده رضي الله عنه، لا أين كان، ولا متى ولد. ولكنها أخبرتنا بسنة وفاته، وبعمره حين مات، ومنهما يمكن معرفة سنة مولده على وجه التقريب. فإذا كان أبو عبيدة توفى سنة ثمانى عشرة من الهجرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة[5]، فيكون مولده رضي الله عنه عام ١٣ من عام الفيل الموافق سنة ٤٠ قبل الهجرة. ٥٨٣ من الميلاد. أى بعد ميلاد النبى ﷺ بثلاث عشرة سنة الموافق سنة ٢٨ قبل النبوة تقريباً[6].

كما لم تذكر أيضاً المصادر شيئاً عن نشأته وحياته الأولى، ولكن لا شك أن نشأته لم تختلف كثيراً عن نشأة غيره من فتيان قريش وشبابها آنذاك، فأبو عبيدة قد ولد لأسرة سامية النسب، كانت من سادات قريش. فهى تعود بنسبها

(١) تهذيب الكمال ١٤/٥٥. (٢) الكتم: نبت به حمرة يختضب به.

(٣) كنز العمال: ٣٦٦٥١. (٤) كنز العمال: ٣٦٦٥٧.

(٥) الاستيعاب ٢/٧٩٤. المعجم الكبير ١/١٥٥.

(٦) تم تحديد سنة المولد وفقاً للحساب الآتى: توفى أبو عبيدة عام ١٨ هـ وله من العمر ٥٨ سنة، بطرح ١٨ من ٥٨ يكون ميلاد أبى عبيدة قبل الهجرة بأربعين سنة. ثم نحسب عمره رضي الله عنه قياساً بعمر النبى ﷺ، فإن النبى ﷺ هاجر وله من العمر ٥٣ أى كان ميلاده ﷺ قبل الهجرة بـ ٥٣، وميلاد أبى عبيدة كان قبل الهجرة بأربعين سنة، فبطرح عمر أبى عبيدة من عمر النبى ﷺ يكون النبى أكبر من أبى عبيدة بثلاث عشرة سنة. وبما أن النبى ﷺ ولد لأول عام من حادثة الفيل الموافقة سنة ٥٧١م. تاريخ الأمم الإسلامية ١/٦٠. مع إضافة ثلاث عشرة سنة إلى هذا التاريخ هى الفارق بين عمر النبى وأبى عبيدة. فيكون مولده رضي الله عنه كما أثبتنا بعاليه.

إلى فهر بن مالك بن النضر. فلا غرو أن ينشأ أبو عبيدة نشأة السادات المترفين، بحكم الأصل الشريف، والنسب الرفيع. فلا شك أنْ قد عُهد به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى البادية ليرضع لبان أخلاق العرب النبيلة من صدق، وعزم، وشجاعة.. مع لبان مرضعته(١)، التى ترضعه مع هذا كله كلمات أصيلة، رقيقة الحروف، قوية المعنى، واضحة البيان، عذبة المنطق.. هى لغته الشريفة ثم يشب الغلام ليعود إلى موطنه الأول، فيتابع بعين مستكشفة طبيعة بيئته، وحياة مجتمعه، فيراها هى أيضاً بيئة جافة، تقع بين صحراء قاحلة، ومجتمع قوى صلب، حياته القَرْش(٢) والسيف..

ثم يبصر أباه، فيرى القوم يحدثوه بوقار، ويعاملوه باحترام، ليعلم أنه من قواد قريش المغاوير، فهو من سادتها سلماً، وقائد من قوادها حرباً..

ثم هاهى حرب الفجار تشتعل من جديد بين قريش ـ ومن معهم من كنانة ـ وبين قيس عيلان وهو فى السابعة من عمره(٣). ينظر إلى أبيه، ماذا يصنع؟! إنه يتجهز للقتال.. فيرى أمه تُلبس والده الدرع، وتناوله السيف.. يخرج بثقة وهى تودعه..

ثم تأتى الأنباء بغلبة قريش على عدوهم، فيسعد الجميع، ويذهبون لاستقبال الأبطال، فيعلم الغلام أن النصر هو المنتظر فى القتال، ولاشىء سواه ذاك الذى يفرح به الجميع، فيشب الغلام.. ويحمل السيف.. ويركب الفرس.. ويبارز أقرانه.. بل ويقود رفقة منهم، فيذوق مذاق القيادة.. ويتمرس مراسها وهو لا يدرى أنه سيأتى يوم يكون فيه من قادة العرب المغاوير الفاتحين فى سبيل الله أمصاراً وأقطارا.

ثم يتجه أبو عبيدة بفطرته بحثاً عن خالقه عند الشدائد، فيجد نفسه فى أسرة وثنية لمجتمع وثنى يسجد لأحجار صماء يصنعونها بأيديهم، ولكنه يتبع ما ألف عليه آباءه فى عبادة هذه الأوثان وفى صدره شىء منها. حتى يصير الفتى

(١) كان من عادة أشراف العرب من أهل مكة دفع أطفالهم عند ولادتهم إلى البادية ليبعدوهم من أسقام الحواضر وتقوى أجسامهم وتقوى لغتهم. تاريخ الأمم الإسلامية ٦١/١. حياة محمد صـ ١٢٦.

(٢) القرش هنا كناية عن التجارة.

(٣) ففى روايات أن النبى ﷺ قد شارك فى هذه الحرب وسنه ﷺ آنذاك عشرون سنة، وبما أن النبى يكبر أبا عبيدة بثلاث عشرة سنة، فتكون سنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند هذه الحرب كما أسلفنا.

شاباً يانعاً ناضجاً، له من العمر ثمان وعشرون سنة، فيسمع بدعوة التوحيد، فيجد نفسَه تقوده لسماع الدعوة، وهى التى تجد من عبادة الأحجار شيئاً، فيلبى الدعوة فور سماعها ليكون من السابقين الأولين للإسلام.

ثالثا: إسلامه

لم يكد أبو عبيدة يسمع بدعوة الرسول ﷺ حتى أسلم على الفور. .كان إسلامه رضي الله عنه على يد أبى بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢ قبل الهجرة الموافق ٦١٠ - ٦١١ م. فقد روى ابن كثير والذهبى أن أبا بكر خرج يريد رسول الله ﷺ - وكان له صديقاً فى الجاهلية - فلقيه، فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها. فقال رسول الله ﷺ: إنى رسول الله أدعوك إلى الله.. فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر رضي الله عنه، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبى بكر رضي الله عنه(١).

وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً مألفاً محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، فجعل لما أسلم يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه(٢). ومضى أبو بكر رضي الله عنه فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبى عبيدة الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبى سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبى الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم(٣) فى ساعة واحدة. وكان إسلام هؤلاء قبل دخول الرسول ﷺ بيت الأرقم بن أبى الأرقم(٤).

صحبته النبى صلى الله عليه وسلم:

١ - قبل الهجرة إلى المدينة: بعدما تكونت نواة الأمة الإسلامية فى بداية عهد النبوة - وكانت ثمانية وثلاثين رجلاً، منهم أبوعبيدة بن الجراح - بدأ عهد الصحابة بصحبتهم لرسول الله ﷺ ومن ثم بدأت مهمتهم المقدسة لحمل راية الإسلام فى مواجهة أعداء الله. وبالفعل، فما أن تكونت النواة المذكورة آنفاً حتى

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٤، ٢٥. (٢) تاريخ الإسلام ٦٢/١.

(٣) البداية والنهاية ٢٥/٣. (٤) الإصابة فى تمييز الصحابة ١١/٤.

أخذ أبو بكر يلح على رسول الله ﷺ فى الظهور، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إنا قليل. فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله وتفرقت النواة المسلمة من الصحابة الكرام فى نواحى المسجد الحرام، كل رجل منهم يدعو فى عشيرته، لتظهر الدعوة ويبدأ الأذى من الكفار لمن أسلم من ذويهم. وهنا يتخذ الرسول ﷺ من دار ابن أبى الأرقم مقراً له ولأصحابه بعد أن صاروا تسعة وثلاثين بإسلام حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ، صحبوا رسول الله ﷺ ومعهم أبو عبيدة فى دار الأرقم شهراً (١). ولكن يشتد بطش الكفار وأذاهم لرسول الله ومن اتبعه من المسلمين، فلما رأى رسول الله ﷺ ما أصاب أصحابه وأنه لن يقدر أن يمنعهم من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه» (٢). وبالفعل لبى أبوعبيدة رضي الله عنه دعوة رسول الله ﷺ، فكان من المهاجرين إلى الحبشة(٣). وكان هذا فى رجب من السنة الخامسة من المبعث، فأقاموا بالحبشة شعبان ورمضان ثم رجعوا إلى مكة فى شوال (٤). وذلك عندما جاءهم نبأ خاطىء أن مشركى مكة أسلموا. فيبقى منهم من يبقى ويرجع منهم من يرجع.

---

(١) البداية والنهاية ٢٥/٣.
(٢) تاريخ الإسلام ٨١/١.

(٣) هناك هجرتان للحبشة، ولم توضح المصادر بدقة إن كان أبوعبيدة من أهل الهجرة الأولى أو الثانية أو الاثنين معاً. ولكن انتهى بنا البحث للآتى: سرد ابن إسحق أسماء من عاد من الهجرة الأولى وهم ٣٣ رجلاً فيهم أبو عبيدة (البداية والنهاية ص ٧٣) ثم سرده فى أسماء المهاجرين الهجرة الثانية وهم ٨٣ (البداية والنهاية ص٥٥). وكذا عند ابن سعد أنه كان من أهل الهجرة الثانية (الطبقات ٣١٣/٣) ولكن معلوم فى المصادر أن أهل الهجرة الثانية لم يعودوا إلى المدينة إلا بعد الهجرة الكبرى، وبالتحديد عام خيبر سنة ٧ هـ. أو قبل هذا بعامين. كما فى مصادر أخرى. فلم يشهدوا بدراً. ولكن مثبت فى المصادر أيضاً أن أبا عبيدة كان من أهل الهجرة النبوية إلى المدينة بدليل شهوده بدراً فإما أن هذا وهم وقع فيه ابن إسحاق وأنه هاجر الهجرة الأولى فقط أو إنه صحيح، ومن ثم يمكن التوفيق بين هذا التناقض بقولنا: إن أبا عبيدة قد هاجر هجرة الحبشة الأولى ثم عاد مع من عاد من أهل الهجرة الأولى إلى مكة، ثم هاجر الهجرة الثانية أيضاً ولكن لم ينتظر حتى عودتهم فى السنة الخامسة أو السابعة من الهجرة النبوية، ولكنه بكَّر بمقدمة من قبيل الهجرة النبوية ليلحق بالنبى ﷺ فى هجرته إلى المدينة المنورة.

(٤) مختصر سيرة الرسول ﷺ، ص ٩٣.

ثم تكون الهجرة النبوية المشرفة إلى المدينة المنورة، والتى أجمعت المصادر على أن أبا عبيدة كان من أهلها، فتنتقل صحبة أبى عبيدة لنبيه من مكة إلى المدينة، ليكون للصحبة عهد جديد.

٢ - بعد الهجرة إلى المدينة: كانت الهجرة النبوية المشرفة إلى المدينة يوم الإثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من البعثة المطهرة، وهى السنة الأولى من الهجرة، الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م [١]. وكانت سن أبى عبيدة ﷺ وقتئذ أربعين سنة. فيبدأ للمسلمين عهد جديد.

قدم أبو عبيدة ﷺ مهاجراً تاركاً خلف ظهره متاع الدنيا، من عز قومه وجاههم ومالهم وسلطانهم ليهاجر إلى الله ورسوله ﷺ فقير المال، عزيز النفس بإسلامه، غنياً بإيمانه، ليصدق فيه قول ربنا عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٢). فقد صدق أبو عبيدة مع ربه حين زهد فى سلطان قومه وغنى عشيرته، وهو لايدرى أن الله سيهبه ملكاً أعز من ملك قومه.

ويستقبل أهل المدينة المهاجرين فينصروهم ويؤوهم، فسماهم الرسول ﷺ الأنصار، هؤلاء الذين نصروا الله ورسوله والمسلمين بكل مايملكون ولو كان بهم خصاصة دون بخل أو شح، فأنزل الله فيهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

ثم يؤاخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار كى يتم تأسيس الدين القويم على أساس من الحب والتعاون على البر والتقوى. ومن ثم بنيان الدولة الناشئة - على دعائم قوية لا يؤثر فيها كيد الكائدين، ولا حقد الخائنين. فآخى رسول الله ﷺ بين كل اثنين، واحد من المهاجرين وآخر من الأنصار.

---

(١) فقد خرج رسول الله ﷺ من بيته فى ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢-١٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م. ووصل المدينة فى التاريخ المثبت بعالية. الرحيق المختوم ص١٦٢، ١٦٩.

(٢) سورة الحشر آية ٨.

(٣) سورة الحشر آية ٩.

أما أبو عبيدة بن الجراح ﷺ، فقد آخى النبى ﷺ بينه وبين أبى طلحة الأنصارى ﷺ كما فى صحيح مسلم عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ آخى بين أبى عبيدة بن الجراح ﷺ وبين أبى طلحة ﷺ»(١).

ثم يشرع النبى ﷺ فى إنشاء الدولة، فيبنى مسجده الشريف، ويوطد لأصحابه من المسلمين دعائم إيمانهم بصحبته لهم. ولقد كان تعلق أبى عبيدة بالنبى ﷺ شديداً، حتى صدق فيه قول ابن قتيبة «أبو عبيدة من عظماء أصحاب رسول الله ﷺ»(٢). بل إنه ﷺ صار من أحباب النبى ﷺ، فقد أخرج الترمذى بسنده عن عبدالله بن شقيق أنه قال: «قلت لعائشة: أى أصحاب رسول الله كان أحب لرسول الله ﷺ؟ قالت أبو بكر. قلت: ثم من؟ قالت: عمر. قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح ﷺ. قلت: ثم من؟ فسكتت(٣).

وكان من صحبته ﷺ النبى أن شهد معه المشاهد والغزوات جميعها، بل كان منها ما كان هو قائدها بتكليف من النبى ﷺ كما سيأتى. وكانت له فى هذه المشاهد فضائل بارزة سردتها كتب المغازى كما سيأتى.. وتظل صحبة أبى عبيدة بن الجراح ﷺ للنبى حتى وفاته ﷺ، ليكون لأبى عبيدة شرف كونه من تلامذة مدرسة رسول الله ﷺ، فيتوفى النبى ﷺ وهو عنه راض بعد أن بشره بالجنة ليكون ضمن العشرة المبشرين بالجنة.. وأمين الأمة.. فهنيئاً لك أبا عبيدة، فما أعظمها من شهادة أن تكون أنت أمين الأمة، وما أعظمها من جائزة أن تكون من المبشرين بالجنة.

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم ٢٥٢٨. وهناك اختلاف بين المصادر فى تحديد من آخاه النبى ﷺ بأبى عبيدة، فابن إسحق يذكر أن النبى آخى بينه وبين سعد بن معاذ [البداية والنهاية ٣/١٧٩] وعلى هذا ابن حجر فى الإصابة ٤/١١. أما ابن سعد فقد أورد قولين: أولهما أن النبى ﷺ آخى بينه وبين سالم مولى أبى حذيفة - وهذا القول قدمه ابن الجوزى فى تاريخه المنتظم ٣/٧٥ - وثانيهما: بينه وبين محمد بن مسلمة - وعلى هذا المزى فى تهذيب الكمال والذهبى فى تاريخ الإسلام - ولكن الصحيح ما أثبتناه، وهو ما عليه أحمد فى مسنده، وبه قال ابن الأثير فى أسد الغابة، والحاكم فى المستدرك.

(٢) المعارف، صـ ٤٤٧.

(٣) أخرجه الترمذى فى المناقب: ٣٦٥٧. وهو صحيح.

رابعا: أخلاقه رضى الله عنه

اتسم أبو عبيدة رضي الله عنه بجملة من أخلاق نبيه المصطفى ﷺ، وكيف لا وهو أحد أبناء مدرسته ﷺ الذين حبب الله إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

وقد بذّ أبو عبيدة بن الجراح أقرانه من صحابة رسول الله ﷺ بأخلاقه هذه التى قال فيها لرسول الله ﷺ «ما من أصحابى أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه فى بعض خلقه غير أبى عبيدة بن الجراح»(١).

وهاك بعض من أخلاقه رضي الله عنه:

١ - **حسنها ولين شيمته:** فقد اتسم رضي الله عنه بحسن الخلق ولين الشيمة. ونلمس هذا عنده رضي الله عنه فى غزوة ذات السلاسل، حين كان عمرو بن العاص رضي الله عنه على مشارف الشام واستمد من الرسول ﷺ مدداً، فبعث النبى ﷺ سرية من المجاهدين فيهم أبو بكر وعمر تحت قيادة أبى عبيدة(٢). فلما قدم أبو عبيدة على عمرو بجيشه قال عمرو: «أنا أميركم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك وأميرنا أبو عبيدة. فقال عمرو: إنما أنتم مدد أُمددت بكم». يقول الذهبى عن هذا الموقف: وكان - أبو عبيدة - رجلاً حسن الخلق لين الشيمة، متبعاً لأمر رسول الله ﷺ وعهده، فسلم الإمارة لعمر(٣).

٢ - **الشجاعة:** فقد كان من خلقه رضي الله عنه الشجاعة النادرة، ونلمس هذا الخلق فى غزوة أحد، حيث يقول عنه الحاكم فى المستدرك: «وثبت يوم أحد مع الرسول ﷺ حين انهزم الناس»(٤). كما نلمسه أيضاً عند توجهه إلى الشام وحصاره لها، وذلك زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد بلغ عمر أن أبا عبيدة حصر بالشام ونال العدو منه. فكتب إليه عمر يقول: «أما بعد فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة إلا جعل الله بعدها فرجاً، وإنه لا يغلب عسر يسرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.(٥) فكتب إليه أبو عبيدة: أما بعد، فإن الله يقول «إنما الحياة

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك: كتاب معرفة الصحابة. ذكر مناقب أبى عبيدة.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٣٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١/٩.

(٤) المستدرك ٣/٢٦٦.

(٥) سورة آل عمران: آية ٢٠٠.

الدنيا لعب ولهو..» إلى قوله تعالى «متاع الغرور». فخرج عمر بكتابه فقرأه على المنبر فقال: «يا أهل المدينة إنما يعرض بكم أبو عبيدة أو بى، ارغبوا فى الجهاد»[1]. وهذه الشجاعة حاول البعض الحط من شأنها، فقد سمع معاذ بن جبل - وكان معه فى الشام - رجلاً يحط من شأن شجاعة أبى عبيدة، فقال له معاذ: «فإلى أبى عبيدة مضطر المَعْجَزة لا أبا لك، والله إنه لمن خير من على الأرض»[2].

٣ - الزهد: وأخباره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى الزهد كثيرة، كتب عنها أهل العلم[3]. ومما روى فى زهده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما رواه ابن عساكر فى تاريخه: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قدم مرة الشام، فتلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض. فقال عمر: أين أخى؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن. فجاءه - أبو عبيدة - على ناقة مخطومة[4] بحبل، فسلم عليه، ثم قال للناس: انصرفوا عنا، فسار معه حتى أتى منزله، فنزل عليه، فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه ورحله. فقال له عمر: لو اتخذت متاعاً. قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيل[5]. وفى رواية أخرى: أن عمر حين قدم الشام قال لأبى عبيدة: اذهب بنا إلى منزلك. قال: وما تصنع عندى، ما تريد أن تُعَصِّر عينيك علىّ. فدخل عمر منزله فلم ير شيئاً. قال: أين متاعك؟ لا أرى إلا لبداً[6]، وصحفة، وشناً[7] وأنت أمير!! أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة[8]، فأخذ منه كسيرات، فبكى عمر. فقال أبو عبيدة: قد قلت إنك ستعصر عينيك على، يا أمير المؤمنين يكفيك ما يبلغك المقيل[9].

٤ - التقوى والورع: ومن أخلاقه أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الورع وتقوى الله، فقد كان أبو عبيدة ورعاً تقياً يخشى الله أشد خشية. ونلمس هذا الخلق فى قوله نفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو أمير على الشام «يا أيها الناس: إنى امرؤ من قريش، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت، أنى فى سلاخه»[10]. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دائماً ما يحث على تقوى الله وعمل الطاعات. فقد روى أبو نعيم فى الحلية عن أبى عبيدة أنه

(١) سير أعلام النبلاء ١/١٥، ١٦. تاريخ دمشق ٢٥/٤٧٧، ٤٧٨.
(٢) تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٢. (٣) كابن المبارك فى كتاب الزهد، وأحمد فى كتابه الزهد أيضاً.
(٤) مخطومة: مربوطة. أو على أنفها زمام. (٥) تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٢. (٦) اللبد: الصوف.
(٧) الشن: القربة الخَلَق الصغيرة يكون فيها ماء. (٨) جونة: سلة صغيرة مستديرة يوضع فيها الأدم.
(٩) تاريخ دمشق ٢٥/٤٨١. (١٠) الطبقات الكبرى ٣/٣١٢. تاريخ دمشق ٢٥/ ٤٨٢.

كان يسير فى العسكر فيقول«رب مبيض لثيابه مدنس لدينه. ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين. ادرؤوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة، لَعَلَت فوق سيئاته حتى تقهرهن». وروى عنه أيضاً قوله: «مثل قلب المؤمن مثل قلب العصفور، يتقلب كل يوم كذا وكذا مرة»(١). وكان من خشيته رضي الله عنه يقول: «وددت أنى كبش فذبحنى أهلى، فأكلوا لحمى وحسوا مرقى»(٢).

٥ - الحب الشديد لرسول الله ﷺ: ونلمس هذا الخلق بقوة فى غزوة أحد، عندما غاصت حلقتا المغفر فى خد رسول الله ﷺ، فانطلق أبو عبيدة لينزعهما من خده ﷺ، فقال لأبى بكر: أقسم عليك بحقى لما تركتنى. فتركه أبو بكر رضي الله عنه. فكره أبو عبيدة تناول الحلقتين بيده فيؤذى رسول الله ﷺ، فأزم عليها بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقعت ثنيته مع الحلقة. فذهب أبو بكر ليصنع ما صنع أبو عبيدة، فقال أبو عبيدة لأبى بكر: أقسمت عليك بحقى لما تركتنى. ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى. فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة فصار أهتما(٣). فكان من هذا أن كان من المؤمنين حقاً مطبقاً قول نبيه ﷺ «والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»(٤).

٦ - عدم إيثاره على الله ورسوله أحداً: فقد ترتب على هذا الحب العظيم الذى ملأ قلب أبى عبيدة بن الجراح لله ورسوله: أنه لم يؤثر على ما سواهما أحداً، ولو كان هذا المرء أباه، وذلك تصديقاً لحديث رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده...» الحديث. فإنه رضي الله عنه لم يتوانَ عن قتل أبيه المشرك يوم بدر.

٧ - الحلم والأناة والتواضع: فمن جملة أخلاقه رضي الله عنه الحلم والأناة والتواضع لله. وقد تمثلت هذه الأخلاق خير ما تمثلت عند فتح الشام، حين كان قائد المسلمين آنذاك خالد بن الوليد رضي الله عنه فتوفى أبو بكر رضي الله عنه وتولى عمر بن الخطاب الخلافة، فكتب من فوره لأبى عبيدة فى الشام بعزل خالد وتوليه هو الإمارة بدلاً منه. فلما وصل كتاب عمر إلى أبى عبيدة بذلك القرار، كتمه أبو عبيدة ﷺ حتى

(١) حلية الأولياء ١/ ١٠٢. (٢) الطبقات الكبرى ٣/٣١٥.
(٣) البداية والنهاية ٤/٢٥. (٤) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب حب رسول الله من الإيمان.

تمَّ الفتح لدمشق، فعند ذلك أظهر أبو عبيدة الكتاب ليعقد الصلح للروم. يقول الذهبى فى هذا «وكل هذا من دينه ولينه وحلمه» (١). وهكذا.. فهذه بعض خلال أمين هذه الأمة، والتى تنم عن شخصية مشرقة قال فيها عبدالله بن عمرو بن العاص: «ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياء، إن حدثوك لم يَكْذبوك، وإن حدثتهم لم يُكَذبوك: أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح»(٢).

خامساً: فضائله رضى الله عنه

وفضائله ﷺ كثيرة، منها:

- أنه من السابقين الأولين للإسلام.

- وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة. فقد أخرج الترمذى بسند صحيح عن عبد الرحمن بن عوف، أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة، وعلى فى الجنة، وطلحة فى الجنة، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة، وسعد فى الجنة، وسعيد فى الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة»(٣).

- ومن أعظم فضائله ﷺ أنه أمين هذه الأمة. فقد أخرج البخارى فى صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٤). ومبدأ إطلاق النبى ﷺ هذه الشهادة لأبى عبيدة أن وفداً من أهل اليمن قدموا على رسول الله يسألونه أن يبعث معهم رجلاً أميناً يعلمهم السنن والإسلام. فأخذ النبى بيد أبى عبيدة بن الجراح فقال: هذا أمين هذه الأمة(٥).

- ومن فضائله: هجرته ﷺ الهجرتين، الحبشة، والمدينة.

- ومن فضائله: شهوده المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٢١، ٢٢. (٢) تهذيب الكمال ١٣/٥٦.

(٣) الترمذى: ٣٧٤٧ كنز العمال: ٣٣١٠٦.

(٤) وفى رواية أخرى: أن ناساً من أهل نجران أتوا النبى ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً أميناً. قال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين، حق أمين (قالها ثلاثاً) فاستشرف - تطلع - الصحابة - فبعث أبا عبيدة. الطبقات ٣/٣١٤.

(٥)صحيح البخارى: ٣٧٤٤. الترمذى: ٣٧٩٠.

- كما كان رضي الله عنه من أهل بدر الذين كان لهم من الفضائل ما ليس لغيرهم، فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية»(١). وعنه ﷺ أيضاً أنه قال «إن الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(٢). كما روى البخارى أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين.. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة»(٣).

- ومن فضائله رضي الله عنه أنه كان من أخص أحباب النبى ﷺ كما رُوى عن عبدالله بن شقيق أنه قال لعائشة رضي الله عنها: أى أصحاب رسول الله كان أحب إلى رسول الله؟ قالت: أبو بكر. قال: ثم من؟ قالت: عمر. قال: ثم من؟ قالت: ثم أبو عبيدة بن الجراح. قال: ثم من؟ فسكتت»(٤).

- وهو الذى قيل فيه: إنه أفضل الصحابة بعد الشيخين(٥).

- وهو والى الشام وفاتحها فى خلافة عمر.

- وكان هو أحد الرجلين الذيْن بايعهما أبو بكر يوم السقيفة بقوله - أبى بكر - «قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب. وأبو عبيدة بن الجراح»(٦).

- وقد عده الذهبى فيمن جمع القرآن العظيم(٧).

- ومن فضائله: أخلاقه رضي الله عنه التى قال فيها رسول الله ﷺ: «ما من أصحابى إلا ولو شئت لأخذت عليه فى بعض خلقه، غير أبى عبيدة بن الجراح»(٨).

وهكذا.. فلا غرو بعد هذه الفضائل أن يمدح النبى صاحبها بقوله: «نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح»(٩). ولا غرو أيضاً أن يكون هذا الرجل بعينه هو أمنية عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال عمر لأصحابه: «تمنوا. فجعل كل رجل منهم يتمنى شيئاً. فقال: لكنى أتمنى بيتاً مملوءاً رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح. فقال له رجل: ما ألوت الإسلام. قال: ذلك الذى أردت»(١٠).

(١) قال ابن كثير: تفرد به أحمد، وهو على شرط مسلم. انظر البداية والنهاية ٣/٥٨.
(٢) البداية والنهاية ٣/٢٥٨. (٣) نفس المصدر ٣/٢٥٨. (٤) سبق تخريجه.
(٥) جامع المسانيد والسنن، ابن كثير ١٤/٢٧٣. (٦) أسد الغابة ٣/٢٤. (٧) سير أعلام النبلاء ١/٨.
(٨) سبق تخريجه. (٩) تاريخ دمشق ٢٥/٤٦٩. المستدرك ٣/٢٦٨. وقال صحيح على شرط مسلم.
(١٠) المستدرك ٣/٢٦٢.

الفصل الثالث

أبوعبيدة.. أمين الأمة

أولاً : أمانته رضى الله عنه في المغازى

غزوة بدر:

ماكاد النبي ﷺ يستقر به المقام بالمدينة حتى بدأت الحياة العسكرية لعهد الإسلام في المدينة استعداداً لإعلاء كلمة الله في الأرض. فيبدأ الرسول ﷺ في إنفاذ حملات الاستكشاف دون اشتباك دموى بين المكيين والمهاجرين. وكأن هذه الحملات الاستطلاعية كانت تمهيداً لأولى ملاحم التاريخ الإسلامى بعد البعثة، وهى ملحمة بدر الكبرى..

وقد تعددت هذه الحملات، بل منها ماخرج الرسول ﷺ فيها بنفسه، مثل غزوات: الأبواء - وهى أول غزوة غزاها النبي ﷺ (١) - وبواط، وذى العشيرة (٢).

وفي الحقيقة لم تذكر لنا المصادر أسماء من خرجوا من الصحابة في هذه الغزوات، ومن ثم لم نتمكن من معرفة إن كان أبوعبيدة أحد جنود هذه الغزوات أم لا. ولكن نكاد نوقن بأن أباعبيدة لم يتخلف عن غزوة منها، فهو أولاً: من فرسان العرب الأشداء الذين لايستغنى عنهم في القتال. ثانياً: أن أبا عبيدة كان من الصحابة المقربين لرسول الله ﷺ. وكيف لا وهو حبيبه. هذا فضلاً عن إجماع المؤرخين على أن أبا عبيدة قد شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

ثم تكون غزوة بدر الكبرى، وهى أول معركة بين أهل الكفر والإيمان، يتقابل فيها الفريقان ويقذفون في أوتونها بكتائب لم يسبقوا لهم أن قذفوا بمثلها منذ ظهوت دعوة الإسلام (٣).

---

(١) تاريخ خليفة ص١٩.

(٢) المغازى للواقدى ٣٠٢/١. تاريخ خليفة ص٣٠.

(٣) موسوعة الغزوات الكبرى ١١٨/١.

وفي غزوة بدر تظهر أمانة أبى عبيدة بوضوح، وتبرز فيها بقوة. وكانت هذه الغزوة في صبيحة سبعة عشر يوماً من رمضان يوم الجمعة لسنتين من الهجرة (١). وكان سببها أن النبي ﷺ لما سمع بأبى سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون (٢)، رأى النبي في هذا فرصة ذهبية، وضربة عسكرية واقتصادية قاصمة تنزل. بمشركى قريش (٣). ومن ثم أعلن عن خروجه في عير أبى سفيان. ويبدو أن إعلان النبي ﷺ هنا لم يكن استنفاراً إجبارياً كمعركة أحد مثلاً، وإنما كانت دعوة الرسول فيها ترغيبية لمن يريد أن يخرج، حتى أن بعض أهل المدينة ظنها لن تكون إلا كمثيلاتها من غزوات النبي السابقة كبواط وغيرها (٤). ولكن يشاء الله أمراً كان مفعولا، وهو حدوث ملحمة بدر..

المهم أن أبا عبيدة لم يكن ليتأخر عن تلبية دعوة رسول الله ﷺ، فكان أن هبّ للخروج معه. ويخرج النبي ﷺ في ثلاثمائه وبضعة عشر رجل من أصحابه - رضى الله عنهم - ولم يكن معهم سوى فَرَسان وسبعون بعيراً، فكان يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد (٥). فلما سمع أبوسفيان أن النبي ﷺ وأصحابه يعترضون له بعث إلى قريش مستنجداً، فهبت قريش بحدها وحديدها لنجدة أبى سفيان. فخرجوا ولم يعلم النبي بخروجهم، فلما علم النبي بخروجهم، سار إلى بدر - موضع بئر - ولكن ينجو أبو سفيان بتجارته ثم يكتب إلى قريش بالرجوع. ولكن يأبى أبو جهل قائلاً: «والله لانرجع بعد ذلك». ويشاء الله ويتراءى الجمعان (٦). ويشاء القدر أن يخرج عبدالله بن الجراح والد أبى عبيدة مع المشركين، وهو لايعلم أن قتله سيكون بيد ولده وفلذة كبده أبى عبيدة الذى لم يخن أمانة الإسلام منذ أسلم قط. وكيف وهو أمين هذه الأمة. وتبدأ المعركة،

(١) المنظم ٩٧/٣. زاد المعاد ١٧١/٣. تاريخ الطبرى ٤٢٠/٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٤٠١/٢.
(٣) موسوعة الغزوات الكبري ١١٩/١.
(٤) نفس المرجع ١٢١/١.
(٥) زاد المعاد ١٧١/٣.
(٦) نفس المصدر ١٧١/٣.

ويحمى الوطيس، بل ويتراءى الأب لابنه حتى يكثر في هذا، فلا يتوانى أبوعبيدة ﷺ في تأدية أمانته، فيشد على سيفه ويقصد أباه فيقتله.. فوا عظمة هذا الصحابى الجليل.. الذى لم يكن ليقدم أحداً على الله ورسوله، ولو كان والده..

فلا عجب أن يُنزل الله عز وجل في هذا الرجل قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، روى الطبرانى بسند جيد عن عبدالله بن شوذب قال: جعل أبو أبى عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل فيه الآية حين قتل أباه ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ (١).

وينتصر المسلمون على المشركين ليتحقق وعد الله، فيُهزم الجمع ويولون الدبر. ويصيب أبا عبيدة فضل الله على عبادة ممن شهد هذه الغزوة خاصة، فقد كان لأهل هذه الغزوة من الفضائل مالم يكن لغيرها. ومن هذه الفضائل ماروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخل النار رجل شهد بدراً والحديبية**» (٢). وعنه أيضاً ﷺ أنه قال: «**إن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم**» (٣). وروى البخارى أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي فقال: «**ماتعدون أهل بدر فيكم؟ فقال: من أفضل المسلمين.. قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة**» (٤).

غزوة أحد:

وتكون غزوات عديدة بين بدر وأحد يقودها النبي ﷺ مثل غزوات بنى سليم بالكدر، وبنى قينقاع، والسويق.. ولم تذكر أيضاً المصادر أسماء من خرجوا في هذه الغزوات من المهاجرين، إلا أننا لا نشك أن أبا عبيدة كان من جنود هذه الغزوات لما قد أسلفنا ذكره من قبل.

وغزوة أحد من الغزوات الشهيرة في الإسلام. وكانت يوم السبت للنصف من شوال، سنة ثلاث من الهجرة (٥). وكان سببها أن مكة أرادت أن تأخذ بثأرها

(١) سورة المجادلة: آية ٢٢. انظر المعجم الكبير ١/١٥٥. الإصابة ٤/١١.

(٢) سبعة تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه (٥) الرحيق المختوم ص ٢٤٥ ـ ٢٦٢.

من المسلمين رداً لكرامتها التى أهينت يوم بدر. فشرعوا يعدون العدة لقتال المسلمين بزعامة أبى سفيان بن حرب، فلما تحرك جيش مكة متجهاً نحو المدينة أرسل العباس عم النبي ﷺ برسالة فورية إلى النبي يخبره فيها بنبأ قريش وأنهم خرجوا لقتاله. فاستقر رأى المسلمين على الخروج من المدينة ولقاء الكفار خارجها، فيتخذ النبي ﷺ من جبل أحد منزلاً له ولجيشه. ثم يبدأ القتال بين الفريقين، وينشد المسلمون في هذه الحرب ملحمة أخرى، أذلوا فيها الكفار، فهيمنوا على مراكز القتال، وسيطروا على توجيه دفة القتال لصالحهم.. ولكن يشاء الله أمراً كان مفعولاً. فبينما كاد المسلمون ينهون ملحمتهم بتسجيل نصر آخر لهم، يحدث أن يخطيء الرماة خطأهم المريع الذي به تنقلب الكرة عليهم ليطوق المشركون جيش المسلمين بعد تخلى الرماة المسلمين عن مواقعهم، مخالفين في ذلك أمر نبيهم. فيهجم المشركون على المسلمين الهجوم المضاد ليكون الابتلاء. وهنا يظهر أبو عبيدة مرة أخرى مبرزاً دوره الخالد وموقفه العظيم تجاه نبيه في هذا الموقف العصيب مبرزاً أمانته رضي الله عنه. ولنثبت مارواه المؤرخون عن هذا الدور العظيم: روى الواقدى عن المقداد أنه قال: «لما تصافنا للقتال، جلس رسول الله ﷺ تحت راية مصعب، فلما قتل أصحاب اللواء وهزم المشركون الهزيمة الأولى وأغار المسلمون على عسكرهم فانتبهوا، ثم كرُّوا على المسلمين فأتوا من خلفهم فتفرق الناس.. وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه، أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار»[1]. وعد من المهاجرين أبا عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه. فكان أول دور لأبى عبيدة في هذه المعركة أنه لم يتفرق مع من تفرق من المسلمين عن رسول الله ﷺ، بل كان من الشجعان الصادقين الذين لم يرعهم موقف المشركين، فلم يفزعه هجومهم المباغت.

أما عن الدور الثانى من أدوار أمانة أبى عبيدة في هذه المعركة هو مارواه ابن كثير وغيره عن أبى بكر قال: لما كان يوم أحد انصرف الناس عن النبي ﷺ. فلم أنشب أن أدركنى أبو عبيدة، وإذا هو يشتد كالطير حتى لحقنى، وقد رُمى النبي ﷺ وكسرت رباعتيه وشج في وجهه وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق

(١) المغازي للواقدي ١/٢٤٠.

المغفر، فذهبت لأنزعهما، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله أبا بكر إلا تركتني، فتركته، فكره تناولها بيده فيؤذى رسول الله ﷺ فأزم عليه بفيه فاستخرج إحدى الحلقتين ووقع على الأرض ووقعت ثنيته مع الحلقة. ثم ذهبت لآخذ الأخرى، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني. فأخذ الحلقة الثانية بفيه حتى وقع على الأرض ووقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة الأخرى» (١). وكل هذا من شدة غوصهما في وجهه ﷺ فإذا به رضي الله عنه من أحسن الناس هتماً.

وهكذا نرى مدى حب أبى عبيدة لنبيه ﷺ، مؤدياً في سبيل ذلك كل ما أوتى من أمانة دون بخل أو شح. مؤدياً إياها في أبرز غزوتين في تاريخ الإسلام.

٣ـ غزوة الحديبية:

وهى من الغزوات التى ورد فيها ذكر أبى عبيدة، وكان له فيها دور من أدوار أمانته رضي الله عنه. وجدير بالذكر أن النبي ﷺ لم يخرج في هذه الغزوة لقتال، بل خرج فيها يريد العمرة، حتى أنه اصطلح على تسميتها في كتب الأوائل بعمرة الحديبية. فيروى أن رسول ﷺ تجهز يريد العمرة، وتجهز معه ناس كثير، وذلك في ذى القعدة من سنة ست (٢). ولكن يحدث أن يصدهم المشركون عن البيت الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله، ولكن يتم التفاوض بين النبي والمشركين، وانتهى هذا التفاوض إلى صلح كان في ظاهرة ظلم وإجحاف للمسلمين حتى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وثب إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. فقال: فعلام نعطى الدنيّة في ديننا؟ فقال: أنا عبدالله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعنى. فذهب عمر لأبى بكر فقال له مثل ماقال للنبى، فقال له أبو بكر: الزم غَرْزَه - أمره - ولكن يظل عمر في صدره ضيقاً وحرجاً مما يحدث، وجعل يرد على النبي ﷺ ويقول: علام نعطى الدنية في ديننا؟ وجعل رسول الله ﷺ يرد عليه مثل الرد الأول. وهنا يحسم أبوعبيدة الأمر بإلهام من الله حين أحس أن ماكان فيه عمر إنما هى سَوْرة فتح بها الشيطان لعمر باباً يعارض به قول رسول الله ﷺ حمية منه على دينه.

---

(١) البداية والنهاية ١٤ ,٢٤ ,٢٥. مختصر سيرة الرسول ص ٢٤٨. تاريخ الإسلام ١/٣٢٤.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي، ٤/٩٢.

فيقول له أبو عبيدة بحزم يملؤه إيمان: «ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول مايقول؟ تعوّذ بالله من الشيطان واتهم رأيك». وهنا تسكن سورة عمر رضي الله عنه ويقول: «فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حياء، فما أصابنى قط شىء مثل ذلك اليوم، مازلت أصوم وأتصدق من الذى صنعت مخافة كلامى الذى تكلمت يومئذ [(١)]. وتبرم المعاهدة، ويكون أبو عبيدة من الشاهدين عليها [(٢)]. وهكذا فهذا ماوقفنا عليه لبعض ما أداه هذا الصحابى الجليل من أمانات في المغازى فجزاه الله عن إسلامه خيراً وهنيئاً له الجنة.

ثانياً: أمانته رضى الله عنه في السرايا

سرية حمزة بن عبدالمطلب:

وكانت هذه السرية هى أول كوكبة عسكرية ينفذها رسول الله ﷺ في مواجهة الكفار في تاريخ الإسلام بعد البعثة المطهرة، وكان لأبى عبيدة رضي الله عنه شرف تأدية أمانته فيها كمجاهد في سبيل الله حين خرج فيها جنديا ضمن جنودها المغاوير. وكانت هذه السرية هى أول لواء عقده رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة [(٣)]. بعثها في ثلاثين رجلاً بقيادة حمزه بن عبدالمطلب، عدّ الواقدى في مقدمتهم أبا عبيدة بن الجراح [(٤)]. وقد أنفذ النبي هذه السرية إلى موضوع يسمى «سيف البحر» لاعتراض عير لقريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب، فالتقوا واصطف الفريقان للقتال، فنزل مجدى بن عمرو ـ وكان حليفاً للفريقين ـ فمشى بينهم، فلم يزل يمشى إلى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا، فرجع كل فريق إلى موطنه فلم يكن بينهم قتال. وكانت هذه السرية على رأس سبعة أشهر من مهاجرة النبي ﷺ [(٥)].

---

(١) المغازي ٢/٦٠٦، ٦٠٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/٦١٢

(٣) زاد المعاد ٣/١٦٣. المغازي ١/٩. تاريخ الطبري ٢/٤٠٢. المنتظم ٣/٨٠.

(٤) المغازي ١/٩.

(٥) المغزي ١/٩، ١٠ زاد المعاد ٣/١٦٣.

سرية ذى القصة:

وكانت هذه السرية بقيادة أمين الأمة نفسه أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكانت فى شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر النبى ﷺ (١). وكان سببها أن بلاد بنى ثعلبة وأنمار أجدبت، ووقعت سحابة بموضع يسمى بالمراض إلى تَغْلَمَيْن (٢). وكانت المراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فصارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة، وكانوا قد أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا صلاة المغرب، فباتوا ليلتهم يمشون حتى وافوا ذى القَصَّة مع ظلام الصبح، فأغار عليهم رضي الله عنه، فأعجزهم هرباً فى الجبال وأخذ رجلاً منهم فأسلم الرجل فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستساقه وقدموا المدينة منصورين (٣).

غزوة ذات السلاسل:

وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة، وهى موضع وراء وادى القرى، وبينهم وبين المدينة عشرة أيام (٤). وكان سبب إنفاذا النبى إياها، أنه ﷺ بلغه أن جماعة من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف النبى ﷺ فدعى النبى عمرو بن العاص، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار، فلما قرب من القوم بلغة أن لهم جمعاً كبيراً، فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث النبى إليه أبا عبيدة بن الجراح قائداً فى مائتى مسلم، فيهم أبو بكر وعمر. فعقد له لواء، وأمره أن يكون - هو وعمرو - جميعاً ولايختلفا. فسار أبو عبيدة حتى لحقوا بعمرو بن العاص. فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويقدم عمراً، فقال له عمرو: إنما قدمتم علىّ مدداً لى، وليس لك أن تؤمنى وأنا أمير. فقال المهاجرون: كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه فقال عمر: لا، بل أنتم مدد لنا. فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف -

---

(١) المنتظم ٣/٢٥٥.

(٢) تعلمين: موضع من بلاد بني فزارة بالجزيرة.

(٣) المغازي ١/٥٥٢. الطبقات ٢/٦٦. دلائل النبوة ٤/٨٣.

(٤) المنتظم ٣/٣٢١.

وكان حسن الخلق، لين الشيمة - قال: لتطمئن ياعمرو، تعلمنّ أن آخر ماعهد إلى رسول الله ﷺ أن قال «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولاتختلفا. وإنك والله إن عصيتنى لأطيعنك». فأطاع أبو عبيدة، فكان عمرو يصلى بالناس. ثم يُقضى الأمر، ويبعث عمرو عوف بن مالك بريداً إلى رسول الله ﷺ فأتى عوف النبى، فقال له النبى ﷺ: أخبرنى. فأخبره عوف بما كان بين أبى عبيدة وعمرو ومطاوعة أبى عبيدة، فقال الرسول ﷺ: «يرحم الله أباعبيدة». وكانت الغلبة فى هذه الغزوة لعمرو ومن معه.

سرية الخَبَط:

وكانت فى رجب سنة ثمان من الهجرة، وفيها بعث النبى ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أميراً على ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى حى من جهينة على ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمس ليال [١]. فأصابهم فى الطريق جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد، فجمع حتى إذا كانوا ليقتسمون التمرة، حتى أكلوا الخبط [٢]. ثلاثة أشهر، فخرجت لهم دابة من البحر يقال لها الغبر «الحوت» كانت مثل الظرب [٣]، فأكلوا منها اثنتى عشرة ليلة - وكانوا قبلها ينحرون الإبل حتى نهى أبو عبيدة عن ذلك - ويذكر أن أبا عبيدة لما خرجت لهم دابة البحر، وَجل قائلاً: ميتة! ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفى سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا. ثم تزود أبو عبيدة من لحمها وقدم المدينة ولم يلعن كيداً من أعدائه. فذكروا للنبى من أمر الحوت فقال له: «هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شىء من لحمه تطعمونا: فأكل منه النبى ﷺ» [٤].

---

(١) المنتظم ٣/٣٢٢.

(٢) الخَبَط: ورق الشجر يجفف ويطحن ويخلط بالماء. ولأجل هذا سميت السرية بالخبط.

(٣) الظرب: الجبل الصغير.

(٤) المغازى ص ٧٧٤. تاريخ الطبرى ٣/٣٢. المنتظم ٣/٣٢٣. البداية والنهاية ٢/٢٧٥. ويطلق على هذه السرية «سيف البحر».

ثالثا: أمانته رضى الله عنه يوم السقيفة

وهكذا، بعد أن تم لنا عرض أمانة هذا الصحابى الأمين مع الله ورسوله ﷺ نأتى إلى ختام هذا الفصل، فنتعرف على وجه آخر من أوجه أمانة هذا الصحابى الجليل وهو أمانته رضي الله عنه مع أمته، والتى كانت بعد انتقال النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

وأمانته رضي الله عنه مع الأمة يفيض فيها الحديث ويطول، لذلك وجدنا أن نقسم الحديث عن هذه الأمانة قسمين، الأول: وهو ما آثرنا به فصلنا هذا، وهو فى الحديث عن دور أبى عبيدة الفعال فى اختيار خليفة الأمة بعد وفاة النبى ﷺ، هذا الدور الذى كان له أهميته فى سد باب الفتنة حينما برز الخلاف فى سقيفة بنى ساعدة لتحديد من يكون خليفة رسول الله ﷺ.

أما القسم الثانى: فهو جهاده لمن أبى دخول الجنة، لنشر نور الإيمان الذى ذاق أبوعبيدة حلاوته، وقد تمثل هذا الدور خير تمثل فى فتوحه رضي الله عنه للشام. ولعظم هذا القسم، فقد أفردنا له فصلاً كاملاً هو الفصل الرابع. أما القسم الأول: فيمكن عرضه كالآتى:

لما قبض رسول الله ﷺ وقبل دفنه اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة (١). وبينما هم كذلك إذ كان عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وطائفة من كبار المسلمين ومن سوادهم يتحدثون بالمسجد عن وفاة الرسول ﷺ، وكان أبو بكر وعلى بن أبى طالب وأهل بيت النبى يحيطون بجثمانه ويعدون العدة لتجهيزه ودفنه. وبدأ ابن الخطاب من أيقن بوفاة النبى يفكر فيما عسى أن يكون الأمر من بعده. ولم يدر بخلده أن الأنصار سبقوه إلى هذا التفكير (٢).

قال ابن سعد: أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: ابسط يدك فلأبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسوله ﷺ. فقال أبو عبيدة لعمر: مارأيت لك فهة (٣) قبلها منذ أسلمت، أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين (٤). وإنهم لفى

---

(١) تاريخ الطبرى ٢٠١/٣. (٢) الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل ص٥٤.

(٣) فهة: الجهلة والسقطة. (٤) الطبقات الكبرى ١٣٥/٣. المنتظم ١٦٦/٤.

هذا الحديث إذ جاءهم نبأ الأنصار واجتماعهم فى سقيفة بنى ساعدة أرسل عمر إلى أبى بكر. فذهب أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إليهم، فقال: لأبعثه معكم أميناً حق أمين. فبعث أبا عبيدة بن الجراح. وأنا أرضى لكم أبا عبيدة. فقال أبو عبيدة. فقال أبو عبيدة ومعه عمر: «لا والله لانتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثانى اثنين إذ هما فى الغار، وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك» (1). ولكن يكثر اللغط ويشتد الخلاف ويزيد الشد والجذب، وهنا يتدخل أبو عبيدة فى محاولة لتسكين حدة الموقف وإنهاء الأمر قائلاً: «يامعشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير».

ثم يتقدم هو وعمر بن الخطاب إلى أبى بكر قائلين له: «ابسط يدك نبايعك» فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه. فلما رأت الأوس ما صنع بشير وما تدعو إليه قريش وماتطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة فقاموا فبايعوا أبا بكر رضي الله عنه، فبايع الناس كلهم أبا بكر (2). فيتم استخلاف أبى بكر ليقوم بتعيين أبى عبيدة ولياً على مال المسلمين، وعمر على القضاء (3).

وإذا أمعنا النظر فى هذا النص لوجدناه يعبر تعبيراً صادقاً عن أمانة هذا الصحابى الجليل أبى عبيدة بن الجراح فى هذا الوقت العصيب الذى كان فيه المسلمون. فأول مانلحظ فى ذلك اليوم أن عمر حين همّ بالتفكير فيمن يكون خليفة رسول الله ﷺ، وقعت عيناه على أمين الأمة فقام إليه يبايعه، ولكن نرى أمانة هذا الرجل تطغى فى رده على عمر حين علم أن هناك من هو أولى فى حمل هذه الأمانة، وهو أبو بكر الصديق ذو الفضائل التى لاتحصى ولاتعد، فكان رده لعمر حازماً حاسماً «ما رأيت لك فهة منذ أسلمت، أتبايعنى وفيكم الصديق ثانى اثنين».

(1) هناك رواية أخري تقول «قال أبو بكر الصديق لأبي عبيدة رضي الله عنه : هل أبايعك؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنك أمين هذه الأمة. فقال أبو عبيدة: كيف أصلي بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا حين قبض»

أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٦٦، ٦٧. وقال: صحيح الإسناد.

(2) تاريخ الطبري ٣/٢٠١، ٢٠٢. الصديق أبو بكر، ص٥٩.

(3) الصديق أبو بكر، ص ١٩٥. الطبقات ٣/١٣٧. تاريخ خليفة، ص٦٦.

ثانياً: أنه حين سارع إلى السقيفة مع أبى بكر وعمر فور وصولهم نبأ أن الأنصار يبحثون فيمن يكون الخليفة بعد رسول الله ﷺ، كان يعلم أن هذا الأمر أمانة لا ينبغى أن تؤدى إلا بحقها. وفى هذا يقول الدكتور جمال عبدالهادى «إن مسارعة أبى بكر الصديق وعمرو أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى سقيفة بنى ساعدة كان طاعة لله عز وجل، وواجب فى رقابهم لابد وأن يقوموا به، هذا الواجب هو تنصيب إمام المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ» (١).

ثم تظهر أمانته رضي الله عنه ثالثاً: حين اختاره أبو بكر نفسه للخلافة فكان رد أبى عبيدة «إنك أفضل المهاجرين، وثانى اثنين إذ هما فى الغار وخليفة رسول الله ﷺ، فمن ذا ينبغى أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك» (٢) فهو هنا يؤكد بصدق وعزم أنَّ هذا الأمر لايصلح إلا لشخص واحد، هو الصديق أبو بكر، حتى ولو كان هذا الفاضل الأفضل - أبو بكر - هو الذى يرشح بنفسه أبا عبيدة للخلافة. فكانت الأمانة هنا مع النفس للأمة بأنه لايصلح لها خليفة إلا أبو بكر رضي الله عنه.

ثم تتجلى الأمانة رابعاً: بأجلى صورها حين أخذ الخلاف يشتد بين المسلمين وأصبحت الأمة فى خطر، فتدخّل الأمين معالجاً الأمر بقوله «يامعشر الأنصار كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغير». فهو يذكرهم بفضلهم، وأن عليهم ألا يفتحوا للشيطان باباً يجر على الأمة ويلات وويلات. والنبى بعد جسد مسجى لم يدفن بعد.

خامساً: ثم يترجم أبو عبيدة أمانتة القولية إلى أمانة فعلية يتم فيها معالجة الأمر وإنهاء الخلاف بتقدمه وصاحبه عمر رضي الله عنه إلى أبى بكر مبايعين ليتأسى به الناس فيتبعوه ليتم إغلاق باب فتنة كان يعبث الشيطان بفتيلها وتُسد ثغرة كانت ستفتح على المسلمين باباً من الشقاق لم يكن ليغلق.

وأخير يقدم الصديق شهادة وفاء للأمين، فيضعه فى مكانه الذى لم يكن ليكون لأحد سواه. وهو مال المسلمين. وكيف لايتولى أبو عبيدة أمانة مال المسلمين وهو أمين الأمة. فكأن تعيين أبى بكر له على مال المسلمين على وجه الخصوص

(١) استخلاف أبو بكر الصديق، د. جمال عبدالهادي، ص ١٤٨.

(٢) الصديق أبو بكر، ص٦٠.

هو شهادة على هذه الأمانة التى وصف النبى  صاحبها بأنه أمين، حق أمين، حق أمين، حق أمين..

هذا هو الأمين صاحب الأمانة التى جعلت عمر يقول فى آخر حياته وهو يعلم أن أمته لاتصلح بعده سوى لأمينها أبى عبيدة «لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وماشاورت. فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الأمة..» [1] ولكن يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

❖❖❖

(١) المستدرك ٣/٦٧.

الفصل الرابع

أبو عبيدة.. فاتح الشام

تمهيد

كانت للشام فى عهد الرسول ﷺ أهمية خاصة، ففيها القدس التى كانت تعنى للنبى معانى خاصة، فهى مسراه، ومنها كان معراجه ﷺ، وإليها كانت قبلته الأولى، وهى الأرض التى نجى الله إليها أباه إبراهيم عليه السلام..

وفضلاً عن هذا وذاك، أن الله حين بعث محمداً ﷺ بالحق، إنما بعثه للناس كلهم أجمعين هادياً ومبشراً ونذيرا، فجاءت رسالته عالمية، وعليها أن يبلغها هو ومن معه إلى شتى بقاع الأرض ليتحقق وعد الله ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١). وكان على أصحابه أن ينفذوا هذا الوعد بوصفهم من الأمة الشاهدة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٢). كما كانت الشام من أهم بقاع الأرض التى ينبغى أن تصل إليها الرسالة الخاتمة.

كان لكل هذه العوامل دورها فى أن يكون للشام نصيبها من الغزوات والسرايا فى عهد النبى ﷺ، ومن هذه الغزوات والسرايا: غزوة دومة الجندل (٣). وغزوة مؤته (٤)، وغزوة ذات السلاسل (٥)، وسرية ذات أطلاع (٦)، وغزوة تبوك (٧)، وغزوة أسامة بن زيد (٨).

(١) سورة التوبة آية ٣٣. (٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٣) خرج إليها الرسول ﷺ في ربيع الأول سنة خمس. وهي من دمشق علي خمس ليال. انظر زاد المعاد ٢٥٥/٣.

(٤) مؤته قرية من قري البلقاء في حدود الشام، أرسل إليها النبي ﷺ جيشاً بقيادة زيد بن حارثة سنة ثمان. (٥) سبق ذكرها.

(٦) كانت سنة ثمان للهجرة، بعثها النبي بقيادة كعب بن عمير الغفاري. وهي موضوع من أرض الشام. المغازي للواقدي ٧٥٢/٢.

(٧) كانت في رجب سنة تسع للهجرة، وخرج فيها رسول الله ﷺ. انظر زاد المعاد ٥٢٦/٣.

(٨) تاريخ دمشق ٣/٢.

ولايموت النبى ﷺ إلا وقد بشر أصحابه بفتح الشام [1]..

وهكذا، نلمس من تعدد المغازى والسرايا مدى أهمية الشام لدى رسول الله ﷺ. ومن ثم، كان لعظم اهتمام النبى ﷺ بهذا الصقع أن ورث خليفتاه ـ أبو بكر وعمر ـ هذا الاهتمام، وبناء على هذا كان أمر فتح الشام يتطلب أن يُسند إلى قواد أكفاء، ولاغرو أن يكون من هؤلاء القواد سيدنا وصاحب رسول الله ﷺ الأمين أبو عبيدة بن الجراح. ورغم أن أبا عبيدة كان من أمراء جيوش الشام فى عهد أبى بكر، إلا أنه لم ينفرد فى أغلب فترات هذا العهد بالقيادة العامة للجيوش كما سيكون فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أولاً: أبو بكر يجهز الجيوش

أخرج ابن عساكر فى تاريخه بسنده عن عبدالله بن أوفى الخزاعى قال: «لما أراد أبو بكر غزو الروم، دعا علياً، وعمر، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار.. فقال: قد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الوافر، لأنه من هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعاً عن الله، مستوجباً على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيى الذى رأيت، فأشار امرؤ عليّ برأيه..

فقام عمر بن الخطاب فقال:.. قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت، فما قضى أن يكون حتى ذكرته قبلى، فقد أصبت. أصاب الله بك سبيل الرشاد، سَرِّب إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله» [2]. ثم تتوالى الموافقات والتأييدات لأبى بكر من كل الحاضرين بقولهم: مارأيت من رأى فامضه، فإنا لا نخالفك ولانتهمك» [3].

---

(١) وقد خصص ابن عساكر في تاريخه باباً كاملاً عن «تبشير المصطفي ﷺ أمته المنصورة بافتتاح الشام». انظر تاريخ دمشق ١/ ٣٨٠ ـ ٣٩٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٢/٩٥.

وهنا همّ أبو بكر بإنفاذ المسلمين لجهاد الروم، فكتب بذلك إلى أمصار الإسلام بالجزيرة العربية، وذلك لإعداد الجيوش.

وبالفعل، يجمع أبو بكر الجيوش، ليعدها ويجهزها .. ويعد قوادها ..

وكان إعداد أبي بكر لجيوش المسلمين على النحو الآتى (١):

١) جيش يقوده يزيد بن أبي سفيان.. ووجهته دمشق. وأمره أن يسلك طريق تبوك.

٢) جيش يقوده شرحبيل بن حسنة. ووجهته الأردن. وأمره أن يسلك طريق الأول.

٣) جيش يقوده أبو عبيدة بن الجراح، ووجهته حمص. ومركز القيادة الجابية.

٤) جيش يقوده عمرو بن العاص. ووجهته فلسطين. وأمره أن يسلك طريق أيلة (٢).

ويهمنا من هذه الجيوش جيش الأمين أبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وإليك تجهيز أبى بكر لأميره وجنوده:

روى الأزدى بسنده عن سهل بن سعد، أن أبا بكر رضي الله عنه لما أراد أن يبعث أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له: «اسمع سماع من يريد أن يفهم ماقيل له، ثم يعمل بما أُمر به، إنك تخرج فى أشراف الناس، وبيوتات العرب، وصلحاء المسلمين، وفرسان الجاهلية، كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية، وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة، أحسن صحبة من صحبك، وليكن الناس عندك فى الحق سواء، واستعن بالله وكفى بالله معيناً، وتوكل على الله، وكفى بالله وكيلا، اخرج من غد إن شاء الله» (٣). ما أجملها من وصية يعدها خليفة لقائده، ثم يخرج الأمين من عند أبى بكر رضي الله عنه، فلما ولّى قال أبو بكر: يا أبا عبيدة! فانصرف إليه، فقال: «يا أباعبيدة، إني قد رأيت من منزلتك من رسول الله ﷺ وتفضيله إياك ما أحب أن تعلم كرامتك علىّ ومنزلتك منى، والذى نفسى بيده، ما

---

(١) انظر مصادر هذا التجهيز: تاريخ الطبري ٣/٣٩٤. تاريخ خليفة ص ٦٢، تاريخ مدينة دمشق ٢/٦٧. المنتظم ٤/١١٥. أطلس تاريخ الاسلام. د. حسين مؤنس ص ١٢٦.

(٢) مدينة على رأس خليج العقبة. انظر الخريطة.

(٣) فتوح الشام، الأزدي ص ١٨، ١٩.

على الأرض رجل من المهاجرين ولا من غيرهم أعدله بك، ولا هذا ـ يعنى عمر بن الخطاب ـ ولا له من المنزلة عندى إلا دون ما لك» (١). فما أعظمها تلك هي الأخرى من شهادة يا أمين الأمة. شهادة من الصديق لا تعدلها شهادة.

فلما كان من الغد خرج أبو بكر رضي الله عنه يمشي في رجال من المسلمين حتى أتى أبا عبيدة فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ثم قال حين أراد أن يفارقه: «يا أبا عبيدة، اعمل صالحاً، وعش مجاهداً، وتوفّ شهيداً يعطك الله كتابك بيمينك، ولتقر عينك فى دنياك وآخرتك، فو الله إني لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين، المخشعين، الزاهدين في الدنيا، الراغبين فى الآخرة. إن الله قد صنع بك خيراً وساقه إليك، إذ جعلك تسير في جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين. فقاتل من كفر بالله وأشرك به وعَبَد معه غيره». فأجابه الأمين رضي الله عنه قائلاً: «رحمك الله ياخليفة رسول الله، فلأشهد بفضلك فى إسلامك ومناصحتك لله ولرسوله، ومجاهدتك بعد رسول الله ﷺ من تولى عن دين الله حين ردهم الله بك إلى الدين صاغرين، ونشهد أنك رحيم بالمؤمنين ذو غلظة على الكافرين، فبارك الله لك فيما علمك وسددك فيما حملك، فإنى إنْ أك صالحاً فلربِّي المنّة عليّ بصلاحي، وإن أك فاسداً فهو وليّ صلاحي، وأما أنت فإنا نرى لك من الحق علينا أن نجيبك إذا دعوتنا، وأن نطيعك إذا أمرتنا» (٢).

هكذا ينهى أبو عبيدة حديثه مع أبى بكر الصديق ليتفرقا ويمضى الجيش.. ولم يكد ينطلق الجيش حتى قال أبو بكر لأبي قتادة الأنصاري: يا أبا قتادة، الحق أبا عبيدة بن الجراح فأبلغه مني السلام، وقل له: أوصيك بأخيك معاذ خيراً ـ وكان رضي الله عنه قد خرج معه ـ لاتقطعن أمراً دونه فإنه لن يألوك نصحاً ورشداً. وانظر خالد بن سعيد بن العاص ـ وكان رضي الله عنه قد لحق به ـ فاعرف له من الحق إذ وليت عليه مثل ماكنت تحب أن يعرضه لك لو خرج والياً عليك، وقد اختار الخروج معك على ابن عمه يزيد بن أبى سفيان وعلى غير ابن عمه..» (٣) وذلك أن خالد بن سعيد لما تهيأ للخروج فى سبيل الله عزم الخروج مع أبى عبيدة دون سواه، فقال له رجل من المسلمين: «لوخرجت مع ابن عمك يزيد بن أبى سفيان كان أمثل من

(١) فتوح الشام ص ١٩. المستدرك ٣/٢٦٦

(٢) فتوح الشام ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١.

خروجك مع غيره» فقال: «ابن عمي أحب إليّ من هذا فى قرابته، وهذا أحب إليّ من ابن عمى فى دينه، هذا كان أخى فى دينى على عهد رسول الله ﷺ. ووليّ وناصري على ابن عمي قبل اليوم، وأنا أشد استئناساً إليه، وأشد طمأنينة مني بغيره» (١).

ثم يُتبع أبو بكر أبا عبيدة بالمدد، إذ جاءته جماعة من طيىء نحو من ألف رجل، وكان قدومهم على أبى بكر رضي الله عنه بعد مسير الأمراء كلهم إلى الشام، فقال أبو بكر: «قد اخترت لكم أفضل أمرائنا أميراً، وأقدم المهاجرين هجرة. الحقوا بأبى عبيدة، فقد رضيت لكم صحبته، وحمدت لكم إليه، فنعم الرفيق هو فى السفر، ونعم الصحاب فى الحضر» (٢).

كما أتبع أبو بكر أبا عبيدة بقيس بن هبيرة المراوى، وكان من فرسان العرب المغاوير، ذلك أن أبا بكر دعا قيس بن هبيرة فقال: «إنى بعثتك مع أبى عبيدة الأمين، الذى إذا ظُلم لم يَظلم، وإذا أسىء إليه غفر، وإذا قُطع وصل، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، فلا تعصين له أمراً، ولا تخالفن له رأياً، فإنه لن يأمرك إلا بخير..» (٣).

وهذا هاشم بن عتبه رضي الله عنه يدعوه أبو بكر ويُخَيِّره «فاخرج حتى تقدم على أبى عبيدة، أو يزيد» فما كان جوابه إلا أن قال «لا، بل على أبى عبيدة» (٤).

وهذا حمزة بن مالك الهمدانى قدم فى جمع عظيم من همدان على أبى بكر وهم أكثر من ألفى رجل، فلما رأى أبو بكر عددهم وجلدهم، فرح بهم وسرّ بذلك.. ثم قال: ماتنتظر؟ ارتحل على بركة الله. قال: أعلىّ أمير دونك؟ قال: نعم، هناك ثلاثة قد أمرناهم، فأيهم شئت فكن معه. قال حمزة: فسرت حتى دخلت أدانى الشام، فلما لحقت بالمسلمين سألتهم: أى الأمراء كان أفضل؟ وأيهم كان أفضل عند رسول الله ﷺ؟ فقالوا: أبو عبيدة بن الجراح. فقلت فى نفسى: لا والله لا أعدل بهذا الرجل أحداً (٥).

---

(١) المصدر نفسه ص٢٢.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٦، ٢٧.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٣.

(٥) المصدر نفسه ص ٤١.

ثانياً: أبو عبيدة فى الشام

مسير أى عبيدة:

خرج أبو عبيدة رضي الله عنه متوجهاً نحو الشام، فأقبل حتى مر بوادى القرى، ثم أخذ على الحِجْر ـ وهى أرض النبى صالح عليه السلام مما يلى الحجاز، وهى دون الحجر مما يلى الشام ـ وعلى ذات المنار [1]، ثم على زيزا [2]، ثم سار على مآب [3] بعمّان، فخرج إليهم الروم، فلم يلبثهم المسلمون أن هزموهم حتى أدخلوهم مدينتهم، فحاصروهم فيها، وصالحهم أهل مآب، فكانت أول مدائن الشام صالح أهلها. ثم سار أبو عبيدة حتى إذا دنا من الجابية [4]، أتاه آت وقال له: إن هرقل ملك الروم بأنطاكية، وإنه قد جمع لكم من الجموع مالم يجمعه أحد كان قبله من آبائه لأحد من الأمم قبلكم. فكتب أبو عبيدة إلى أبى بكر رضي الله عنه يخبره الخبر راجياً المشورة. «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله أبى بكر، خليفة رسول الله ﷺ من أبى عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنا نسأل الله أن يعز الإسلام وأهله عزاً متيناً، وأن يفتح لهم فتحاً يسيراً، فإنه بلغنى أن هرقل ملك الروم نزل قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه وأنهم نفروا إليه على الصعب والذلول، وقد رأيت أن أعلمك ذلك، فترى فيه رأيك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد بلغنى كتابك، وفهمت ماذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما ماذكرت من حشره لكم أهل مملكته، وجمعه لكم الجموع، فإن ذلك مافسد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، وماكان قوم ليدعوا سلطانهم ويخرجوا من ملكهم بغير قتال، وقد علمت والحمد لله قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب

---

(١) موضع في أول أرض الشام من جهة الحجاز. فتوح الشام ص ٢٩.

(٢) واحد من أماكن أرض البلقاء في الأردن. فتوح الشام ٢٩٧.

(٣) إحدي قري البلقاء في الأردن. فتوح الشام ص ٢٩.

(٤) إحدي المدن الشامية شمال نهر اليرموك فتوح الشام ص ٢٩.

عدوهم الحياة، ويرجون من الله فى قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد فى سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من المسلمين، فإن الله معك، وأنا مع ذلك ممدك بالرجال حتى نكتفى ولاتريد أن تزداد إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» (١) وانطلق أبو عبيدة..

فلما رأى أهل الشام أن العرب قد جاشت عليهم من كل وجه، وكثرت جموعهم بها بعثوا رسلهم إلى ملكهم يعلمونه ذلك، ويسألونه المدد، فكتب إليهم: «أنى قد عجبت لكم حين تستهدونى وحين تُكَثِّرون علىّ عدد من جاءكم من العرب، وأنا أعلم بهم وبمن جاء منهم، ولأهل مدينة واحدة من مدائنكم أكثر ممن جاءكم أضعافاً مضاعفة، فالقوهم فقاتلوهم، ولاتظنوا أنى كتبت إليكم بهذا او أنا لا أريد ألا أمدكم، لأبعثن إليكم من الجند ماتضيق به الأرض». فكتب أهل مدائن الشام بعضهم إلى بعض، وأرسلوا إلى كل من كان على دينهم من العرب، فدعوهم إلى قتال المسلمين (٢).

وعلى أثر كل هذا كان أبو بكر يعد عمرو بن العاص ويجهزه ليرسله فى أثر أبى عبيدة مدداً له مرسلاً معه كتاباً إلى الأمين جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم.. استعن بالله عليهم، فإنه ليس يأتيهم مدد إلا أمددناك بمثليهم أوضعفهم، وليس بكم والحمد لله قلة ولاذلة فلا أعرفنّ ماجبنتم عنهم، ولا ماخفتم منهم، فإن الله فاتح لكم ومظهركم على عدوكم بالنصر، وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون. وعمرو، فأوصيك به خيرا، وقد أوصيته ألا يضع حقاً يراه ويعرفه، فإنه ذو رأى وتجربة. والسلام عليك ورحمة الله» (٣).

وجاء عمرو بالناس حتى نزل بأبى عبيدة، فلما قدموا عليه سُرّ بهم، فقال أبو عبيدة لعمرو: ياعمرو، لرب يوم لك قد شهدته، فبورك فيه للمسلمين برأيك ومحرضك وإنما أنا رجل منكم، ولست، وإن كنت الوالى عليكم، بقاطع أمراً دونكم، فأحضرنى رأيك فى كل يوم بما ترى فإنه ليس بى عنك غنى (٤).

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١.
(٢) المصدر نفسه ص ٤٣.
(٣) المصدر نفسه ص ٥٠.
(٤) المصدر نفسه ص ٥١.

فما أروع تواضعك أيها الأمين وأنت الأمير، ولكن لاغرو، وقد عددنا من خلقه «حلمه وتواضعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

وقعة العربة والداثنة:

وهى أول وقعة عسكرية وقعت بين المسلمين والروم فى الشام، ولندع أبا أمامة الباهلى يخبرنا بخبرها. روى الأزدى عن أبى أمامة الباهلى قال: كنت ممن سرح أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبى عبيدة فى نفر من قومى، فأوصانى به وأوصاه بى، فكانت أول وقعة يوم العربة والداثنة.. فخرجت إلينا ستة قواد من الروم، مع كل قائد خمسمائة رجل، فكانوا ثلاثة آلاف رجل. فأقبلوا حتى انتهوا إلى العربة، فبعث يزيد بن أبى سفيان إلى أبى عبيدة يعلمه ذلك، فبعثنى إليه فى خمسمائة رجل، فلما أتيته بعث معى رجلاً فى خمسمائة رجل، وأقبل يزيد فى آثارنا فى الصف، فلما رأينا الروم حملنا عليهم، فهزمناهم، وقتلنا قائداً من قوادهم، ثم مضوا واتبعناهم، فجمعوا لنا بالداثنه، فسرنا إليهم، فقدمنى يزيد وصاحبى فى عدتنا فهزمناهم، فعند ذلك فزعوا واجتمعوا وأمدهم ملكهم [1].

وقعة بصرى:

فأرسل هرقل إلى أهل الشام الجنود متفرقين، وعبّى لهم العساكر موزعين بهدف إشغال المسلمين، وتفريق بعضهم عن بعض [2].

فبلغ هذا أبا بكر، فلم يجد بداً من أن يكتب من فوره إلى سيف الله خالد بن الوليد بالعراق يحثه على ترك موقعه بالعراق والتوجه فوراً لنجدة إخوانه بالشام، مفوضاً له فى سبيل ذلك مقاليد الأمور هناك فجعله قائد جيوش الشام وأميرها، فكتب إليه يقول «انصرف بثلاثة آلاف فارس [3]، فأمد إخوانك بالشام، والعَجَل العَجَل» [4]. فانطلق خالد حتى اجتمع مع أبى عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة على قناة بصرى [5]. وهنا لم يجد أهل بصرى بداً من التسليم، فصالحوا المسلمين على الجزية. لتكون بصرى أول مدائن الشام فتحت فى خلافة أبى بكر. وكان هذا الصلح فى ٢٥ ربيع أول. سنة ١٣ هـ [6].

(١) فتوح الشام ص ٥٢. (٢) تاريخ الطبري ٣/٣٩٢.
(٣) وقيل تسعة آلاف. (٤) تاريخ دمشق ٢/ ٨١.
(٥) كورة من أعمال دمشق. انظر معجم البلدان ١/٥٢٢. (٦) أطلس تاريخ الإسلام ص ١٢٦.

وقعة أجنادَيْن:

قال ابن عساكر عن هذه الوقعة أنها كانت «إحدى ملاحم الروم التى أبيروا فيها» [(١)] . أى قطع دابرهم فيها . وكان منها أن المسلمين بعد أن فتحوا بصرى انطلقوا إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص، فاجتمعت جيوش المسلمين بأجنادَيْن من فلسطين، فعسكروا عليها، فوافتهم جيوش الروم هنالك بقيادة خليفة هرقل نفسه «القبقلار» لتكون وقعة أجنادين، تلك الوقعة القوية التى كان أبو عبيدة بن الجراح أحد قوادها الذين قاتلوا فيها قتالاً مريراً . كما ذكرت المصادر . حتى تم النصر للمسلمين. وكانت هذه الوقعة فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ [(٢)]. وقد بُشر أبو بكر بنصر المسلمين فى هذه الوقعة وهو على فراش الموت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [(٣)].

وقعة مرج الصفَّر:

وكانت بعد أجنادين بشهر تقريباً، فى جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ. فبعد انتصار المسلمين بأجنادين اتجهوا نحو دمشق، فمروا بمرج الصفر ليكون القتال بينهم وبين الروم. وفى هذا يقول ابن عساكر «ثم كانت وقعة بمرج الصفر، والتقوا على النهر عند الطاحونة. فقتلت الروم يومئذ حتى جرى النهر. وطحنت طاحونتها من دمائهم» [(٤)].

وتكون وفاة أبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمسلمون محاصرون دمشق. إذ أنهم لما عزموا المسير إلى دمشق لفتحها، توجهت قوات الروم نحو فِحْل وبيسان، فرجع المسلمون إليهم هناك ليقضوا عليهم ثم يتوجهون إلى دمشق.

---

(١) تاريخ دمشق ٢/١٠٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/١٠٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٠٣.
(٤) المصدر نفسه ٣/١١٤.

ثالثاً: أبو عبيدة أمير الشام

توفى الصديق أبو بكر رضي الله عنه ليتولى الخلافة من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان أول شىء فعله الفاروق فور توليه الخلافة أن كتب إلى أبى عبيدة بعزل خالد عن الشام وتوليته هو إياها بدلاً منه فجاء فى كتابه «بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبى عبيدة عامر بن الجراح، سلام عليك.. وبعد، فقد وليتك أمور المسلمين، فلا تستحى، فإن الله لا يستحى من الحق.. وقد استعملتك على جند خالد، فاقبض جنده - أى تول أمرهم - واعزله من إمارته..» (١). وهكذا، فهذه كانت رؤية عمر بن الخطاب أن يتولى أبو عبيدة الشام بدلاً من خالد، كما كانت رؤية أبى بكر الصديق أن يتولى خالد الشام بدلاً من أبى عبيدة، وكلٌ هداه الله لخير مايكون. ولكن ماحدث أن هذا الكتاب حين وصل أبا عبيدة كان المسلمون وقتها محاصرين لدمشق، فلم يشأ أبو عبيدة أن يظهر كتاب عزل خالد فى هذا الوقت حتى تم فتح دمشق!! فما أروع هذا الأمير.. ويذكر أن أبا عبيدة لما أظهر كتاب العزل وتوليته الإمارة بعد دخول المسلمين دمشق، دخل عليه خالد بن الوليد، وقال له: يغفر الله لك، أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمنى، وأنت تصلى خلفى والسلطان سلطانك؟ فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك، ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيرى، وماكنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضى ذلك كله ثم كنت أعلمك إن شاء الله. وما سلطان الدنيا أريد، وما للدنيا أعمل، وإن ماترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل، ومايضر الرجل أن يلى عليه أخو فى دينه ولا دنياه» (٢) رحمك الله يا أمير الأمة.

فتح دمشق:

كان موت أبى بكر والمسلمون محاصرون دمشق، فكان أبو عبيدة بن الجراح على باب الجابية، وخالد على الباب الشرقى لدمشق، وطال الحصار على دمشق - فقيل كان حصارها ستة أشهر (٣)، وقيل حولاً كاملاً (٤).

(١) فتوح الشام ص ١٠٣.
(٢) تاريخ دمشق ١٢٦/٢.
(٣) تاريخ خليفة ص ٦٧.
(٤) تاريخ دمشق ١٢٦/٢.

فبعث أهل دمشق إلى قيصر - وكان بأنطاكية «أن العرب قد حاصرونا وليست لنا بهم طاقة، وقد قاتلناهم مراراً فعجزنا عنهم، فإن كان لنا فيك حاجة فامددوا عنا، وإلا فإنا فى ضيق وجهد.. وقد أعطانا القوم الأمان، ورضوا بالجزية اليسيرة» فكتب إليهم: «أن تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم على دينكم، فإنكم إن صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم، وجبروكم على دينهم، واقتسموكم بينهم، وإنى مسرح إليكم الجيوش فى إثر رسولى هذا..» (1). فلما طال على أهل دمشق انتظار المدد، ورأوا أن المسلمين لايزدادون فى كل يوم إلا كثرة وقوة، وأنهم لايفارقونهم أو يظفروا بهم، أقبل صاحب دمشق إلى أبى عبيدة ابن الجراح يسأله الصلح. وكان أبو عبيدة أحب إلى الروم وسكان الشام من خالد ابن الوليد، وكان خالد أفظهما وأغلظهما عليهم، وكان أن يكون كتاب الصلح من أبى عبيدة أحب إليهم. وكان ألينهما وأشده منهما استماعا، وأقربهما منهم قربى، وكان قد بلغهم أنه أقدمهم هجرة وإسلاماً. فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتى أبا عبيدة، وخالد ملح على الباب الذى يليه يقاتلهم عليه، فأرسل صاحب دمشق إلى أبى عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية، وألح خالد على الباب الشرقى ففتحه عنوة. فقال خالد لأبى عبيدة: اقتلهم واسبهم، فإنى فتحتها عنوة. فقال أبو عبيدة: لا إنى قد أمنتهم (2). ويظهر كتاب عمر، ويدخل المسلمون دمشق، ويتم أبو عبيدة لأهل دمشق الصلح، وكتب لهم بذلك كتاباً.

وقعة فِحْل (3).

لما ظهر أبو عبيدة على دمشق أمر عمرو بن العاص بأن يسير إلى أرض الأردن وفلسطين فيكون بينهما. وخرج عمرو حتى واقع أرض الأردن وفلسطين، وضيق عليهم أشد التضييق، وبلغه وهو هناك أن دمشق فتحت والمسلمون قد دخلوا عليهم، فهال ذلك المشركين وأرعبهم وأشفقوا على مدائنهم أن تفتح كلها، فاجتمع الروم كلهم ونزلوا من حصونهم فكثر جمعهم، فكتب عمرو إلى أبى عبيدة

(1) تاريخ دمشق ٢/١٢٠ - ١٢٦. فتوح الشام ص ١٠٤.

(2) فتوح الشام ص ١٠٤.

(3) فحل موضع بالأردن. وقد وردت عند كثير من المؤرخين قبل فتح دمشق عدا الأزدي في فتح الشام. وهو عندي أوثق، لذلك فقد اتبعته.

يخبره الخبر، فأقبل هو وخالد على عمرو، فلما بلغ الروم أن أبا عبيدة قد أقبل إليهم تحولوا إلى فحل، وهى أرض من الأردن، فجاء المسلمون بأجمعهم حتى نزلوا بهم.. فظلوا بهم حتى طلبوا الصلح [1].

فتح حمص:

روى الأزدى بسنده إلى قرة بن لقيط عن أبيه قال: دعا أبو عبيدة رؤوس المسلمين وفرسانهم الذين معهم، فجمعهم بعد أن ظهرنا على فحل، وفرغنا من الأردن وأرضها، وقد تحصن منا أهل إيلياء واجتمعت بقيسارية جموع عظام مع أهلها. فقال أبو عبيدة: «ياأهل الإسلام، إن الله قد أحسن إليكم، وألبسكم عافية مجللة وأمناً واسعاً، وأظهركم على بطارقة الروم، وفتح لكم الحصون والقلاع والقرى والمدائن، وجعلكم لهذه الدار أرباباً، وجعلها لكم منزلاً، وقد كنت أردت النهوض بكم إلى أهل إيلياء وإلى أهل قيسارية، فكرهت أن آتيهم وهم فى جوف مدينتهم متحرزون متحصنون، ولم آمن أن يأتيهم جند لهم مدداً، وأنا نازل عليهم، وقد جست لهم عن افتتاح الأرض، ولم أدر لعل من فى طاعتى إذا رأونى قد شغلت نفسى بهم أن يرجعوا إليهم، وأن ينقضوا العهد فيما بينى وبينهم، فرأيت أن أسير إلى دمشق فأسير فى أرض دمشق وإلى من قد دخل فى طاعتى منهم، ثم أسير إلى حمص، فإن قدرنا أن نزيل ملكهم عن مكانه الذى هو فيه.»، فقال المسلمون جميعا: «فنعم الرأى رأيك، فامض رأيك وسر بنا إذا بدا لك» [2].

فخرج أبوعبيدة نحو حمص، فضرب عليها الحصار، ولاقى المسلمون من جراء هذا الحصار عناء شديداً من شدة البرد. كما لقى الروم حصاراً طويلا. أما المسلمون فصبروا ورابطوا وأفرغ الله عليهم الصبر، وأعقبهم النصر، حتى اضطرب الشتاء، والقوم متمسكون بالمدينة رجاء أن يهلك الشتاء المسلمين [3].
وكان أهل حمص خلال هذا الحصار يتواصون فيما بينهم ويقولون: تمسكوا فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون. فإن طعامهم

---

(١) فتوح الشام ص ١١١ . ١٤٢.

(٢) فتوح الشام ص ١٤٣.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٥٩٩.

لحوم الإبل وشرابهم اللبن . فكانت الروم ترجع وقد سقطت أقدام بعضهم فى خفافهم، وإن المسلمين فى النعال ما أصيب أصبح أحد منهم حتى انخنس الشتاء. فقام بعض أشياخ أهل حمص يدعوهم إلى مصالحة المسلمين، فقالوا : ذهب الشتاء، وانقطع الرجاء، فماذا تنتظرون؟ وظلوا على هذا فترة حتى لم يجدوا بداً من عقد الصلح مع أبى عبيدة، فعقده لهم ثم كتب إلى عمر بالفتح (١).

وكان فتح حمص فى ربيع الآخر سنة ١٥ هـ (٢).

وقعة اليرموك:

لما بلغ هرقل هزيمة الروم فى كل وقائعهم مع المسلمين وهو بأنطاكية، دعا رجلاً من عظمائهم، وعدداً من فرسانهم وأشدائهم، فدخلوا عليه.

فقال: أخبرونى، ويلكم، من هؤلاء القوم الذين تلقونهم، أليسوا بشراً مثلكم؟! قالوا : بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : نحن أكثر منهم أضعافاً، ومالقيناهم فى موطن إلا ونحن أكثر منهم. قال: ويلكم، فما بالكم منهزمون إذا لقيتموهم؟ فسكتوا . فقام شيخ منهم فقال: أنا أخبرك أيها الملك.. قال: فأخبرنى! قال: إنا إذا حملنا عليهم صبروا، وإذا حملوا علينا لم يكذبوا، ومن حيث أنا نحمل عليهم فنكذب، ويحملون علينا فلا نصبر.. ومن أجل أن القوم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولايظلمون أحداً، ويتناصفون فيما بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمور، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمن بسخط الله، وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض.. (٣).

وهنا أمر هرقل الروم بجمع كل طاقاتهم من جند وفرسان، وعدة وعديد، وحَدٍّ وحديد، للقاء المسلمين فى معركة حاسمة تقضى بشكل نهائى على خطر المسلمين بكسر شوكتهم، فأرسل إلى رومية، وإلى القسطنطينية وإلى من كان من

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٩٩/٣ ـ ٦٠١.

(٢) أطلس تاريخ الإسلام ص ١٢٦.

(٣) فتوح الشام ص ١٥٠، ١٥١.

جنوده وعلى دينه من أهل الجزيرة وأرمنية، وكتب إلى عماله أن يحشروا إليه كل من أدرك الحلم من أهل مملكته فما فوق ذلك إلى الشيخ الفانى. فأقبلوا إليه بمالا تحمله الأرض [١].

ثم كتب هرقل إلى بطارقته: «أن اجتمعوا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطش، واسع المطرد، ضيعه المهرب، وعلى الناس التدارق وعلى المقدمة جرجة، وعلى جنبتيه ماهان والدراقص، وعلى الحرب القيفار، وأبشروا فإن باهان فى الأثر مددكم». ففعلوا فنزلوا الواقوصة على ضفة اليرموك، وصار الوادى خندقاً لهم، وهو لِهْب [٢] لايُدرك [٣].. فلما جاء أبا عبيدة خبرهم وعددهم وكثرتهم وما أقبلوا به من غيرهم ممن كان على دينهم وطاعتهم من الجنود رأى ألا يكتم ذلك المسلمين، وأن يستشيرهم فيه، لينظر مايؤول إليه رأى جماعتهم. فدعا رؤوس المسلمين وذوى الهيئة والصلاح منهم، ثم قام؛ فحمدالله وأثنى عليه، وصلى على النبى ﷺ، ثم قال: «أما بعد، فإن الله عز وجل وله الحمد قد أبلاكم أيها المؤمنون، فأحسن البلاء عندكم، وصدقكم الوعد، وأعزكم بالنصر، وأراكم فى كل موطن ماتسرون به، وقد سار إليكم عدوكم من المشركين بعدد كثير.. فجاءوكم براً وبحراً.. وقد أحببت ألا أغركم من أنفسكم، وألا أطوى عنكم خبر عدوكم ثم تشيرون على برأيكم وأشير عليكم برأيى، فإنما أنا كأحدكم» [٤]. فقام إليه ميسرة بن مسروق فقال: «أيها الأمير، أصلحك الله، إنا لسنا بأصحاب القلاع ولا الحصون ولا المدائن، وإنما نحن أصحاب البر، والبلد القفر، فأخرجنا إليهم فى أرض من بلادهم تشبه بلادنا.. ثم ضم إليك قواصيك، وابعث إلى أمير المؤمنين فليمددك» [٥]. فقال كل من حضر المجلس: «الرأى رأى ميسرة بن مسروق». وكان رأى أبى عبيدة أن يقيموا ولا يبرحوا، ولكنه كره خلافهم، ورجا فى اجتماع رأيهم الخير والبركة. فقال لهم أبوعبيدة: فتهيأوا..

---

(١) فتوح الشام ص ١٥٢.

(٢) اللهب: هو مابين الجبلين

(٣) تاريخ دمشق ١٦٢/٢.

(٤) فتوح الشام، ص ١٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥٥.

فلما أراد أن يشخص إلى الروم دعا حبيب بن مسلمة ـ وكان قد استعمله على الخراج ـ فقال له: «انظر ماكنت جبيته من الخراج من حمص.. فاردده على القوم، فإنه لا ينبغى لنا إذ لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً، وقل لهم، نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح لانرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم» (١). فدعا حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم المال فأخذ يرد عليهم، وأخبرهم بما قال أبو عبيدة. فكان أهل البلد يقولون: «ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم.. والله لو كانوا هم ماردوا علينا، بل غصبونا، وأخذوا مع ما قدروا عليه من أموالنا» (٢).

فرحم الله هذا الأمير..

وهكذا توجه أبو عبيدة وجنوده إلى اليرموك فيعسكرون هناك بحذاء الروم على طريقهم وليس للروم طريقه إلا عليهم. فقال عمرو: أيها الناس، ألا أبشروا، حُصرت والله الروم، وقَلّ ماجاء محصور بخير (٣).

وكان عدد الروم أربعمائة ألف رجل (٤)، بينما كان المسلمون فى أربعة وعشرين ألفاً وعليهم أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح (٥).

ثم يزحف ماهان إلى المسلمين، فخرج بهم أبو عبيدة وقد جعل على الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته قثامة بن أسامة الكنانى، وعلى الرَّجّالة هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، وكان الأمراء: عمرو بن العاص على رَبع (٦)، ويزيد بن أبى سفيان على ربَع، وشرحبيل بن حسنة على ربع.. وسار أبو عبيدة بالمسلمين وهو يقول: «عباد الله، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. ياعباد الله اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولاتتركوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة، ولاتبدأوهم بالقتال.

(١) المصدر نفسه ص ١٥٥، ١٥٦. (٢) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٣) تاريخ دمشق ١٦٢/٢.

(٤) فتوح الشام، ص ١٨٠. وقيل كان عددهم ثلاثمائة ألف. وقيل عشرين ومائة ألف.

(٥) تاريخ دمشق ١٤٣/٢. (٦) الربع: محلة القوم.

وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدرق [1]. والزموا الصمت إلا من ذكر الله عز وجل فى أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله» [2].

ثم إن الروم تداعوا وتحاضوا، وأقبل الجيشان، والتقى الجمعان لتكون ملحمة اليرموك التى يعجز القلم عن وصف أحداثها. فقد أذّن أبو عبيدة فى جنوده: أن شدوا عليهم. فشد المسلمون بأجمعهم عدة واحدة، وأظهروا التكبير، ثم صكوهم صكة واحدة، فطعنوا بالرماح، وضربوا بالسيوف. ومزقوا الصفوف، حتى أنزل الله تعالى نصره، فضرب الله وجوه أعدائهم، فقصم ظهورهم وزلزل أقدامهم، وأنزل الله الملائكة يضربون وجوهم وأدبارهم حتى ولوا المسلمين أكتافهم، فانتصر المسلمون، وهزم الله المشركين بعد قتال مرير، لتفر فلول الروم إلى أنطاكية، فيرسل أبو عبيدة بجيوشه خلفهم، فيتم فتح حلب وأنطاكية ومنبج، لتكون فتوحات الشام بعد ذلك كلها صلحاً. ويفر هرقل من الشام كلها مغادراً إياها مغادرة مودع لا عودة له كما قال هو بنفسه، فقد روى الطبرى: أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس ثم خلّف سورية مرتحلاً إلى أرض الروم - القسطنطنية - التفت إليها قائلاً: «عليك السلام ياسورية، تسليم مودع لم يقض منك وطره - حاجته - وهو عائد».

فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر - هرقل الماء - فنزل الرها، فظل بها حتى فتح المسلمون قنسرين، وأبيدت جيوشه، وقتل قواده فى اليرموك، فخنس - انسحب - عند ذلك عائداً نحو الروم، حتى إذا فصل إلى القسطنطينيه التفت إلى سورية ونظر نحوها وقال: «قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر، فأما اليوم فعليك السلام تسليم المفارق سلاماً لا اجتماع بعده. ولا يعود إليك رومى أبداً إلا خائفاً» حتى نزل القسطنطينية [3].

---

(١) الدرق: الترس.

(٢) تاريخ دمشق ٢/١٤٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٣/٦٣.

فتح بيت المقدس:

بعدما تم النصر للمسلمين فى اليرموك أمر أبو عبيدة ﷺ مناديه أن ينادى بالرحيل إلى إيلياء ـ بيت المقدس ـ فانطلق حتى مر بالأردن، فنزلها، فعسكر بها، وبعث إلى أهل إيلياء الرسل، وقال: «اخرجوا إلىّ أكتب لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم، ونَفِ لكم كما وفينا لغيركم».

ولكنهم تثاقلوا وأبوا. فكتب أبوعبيدة إليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم. من أبى عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيلياء وسكانها، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله العظيم ورسوله، أما بعد: فإنا ندعوكم إلى شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، فإذا شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم، وكنتم إخواننا فى ديننا، وإن أبيتم، فأقروا لنا الجزية عن يد وأنتم صاغرون. وإن أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم للحياة، وشرب الخمر وأكل الخنزير، ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله حتى أقتل مقاتليكم وأسبى ذراريكم». ولكن ظل أهل إيلياء على إبائهم ورفضهم، فأقبل إليهم أبو عبيدة حتى نزل بهم، فحاصرهم حصاراً شديداً، وضيعه عليهم من كل جانب. فلما رأى أهل إيلياء أن أبا عبيدة غير مقلع عنهم، وأنهم لا طاقة لهم بحربه قالوا له: نحن نصالحك.. فأرسل إلى خليفتكم عمر فيكون هو الذى يعطينا العهد، وهو يصالحنا ويكتب لنا الأمان.

فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب بذلك، فجمع عمر ﷺ رؤوس المسلمين إليه فقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة، فقال عثمان ﷺ: لاتذهب حتى يكون ذلك أذل لهم وأصغر. فقال عمر: هل عند أحد منكم غير الرأى: قال علىّ: نعم، أرى أن تذهب فتكفى المؤمنين القتال وتحقن دماءهم. فنزل عمر على رأى علىّ ﷺ واستعد للمضى نحو إيلياء، فلما شارف إيلياء، خرج إليه المسلمون يستقبلونه، وخرج إليه أبو عبيدة. ثم مضى المسلمون به ﷺ حتى أتى إيلياء فنزل بها.

ثم أتى أمراء المسلمين يدعون خليفتهم حتى لم يبق أمير من أمراء الأجناد إلا استزاره ﷺ، فيصنع له ويسأله أن يزوره فى رحله، ففعل ذلك إكراماً لهم، فيزورهم غير أبى عبيدة فإنه لم يستزره، فقال له عمر: إنه لم يبق أمير من أمراء

الأجناد إلا استزارنى غيرك.

فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين، إنى أخاف أن أستزيرك فتعصّر عينيك فى بيتى. قال عمر: فاستزرنى. قال: فزرنى. فأتاه عمر فى بيته فإذا ليس فى بيته شىء إلا لبد فرسه، وإذا هو فراشه وسرجه فى آن واحد، وإذا هو وسادته أيضاً. وإذا كُسَرٌ يابسة فى كوة فى بيته، فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه، وأتاه بملح وكوز فيه ماء. فلما نظر عمر إلى ذلك بكى. وقال: مامن أحد من أصحابى إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه، غيرك.

فقال له أبو عبيدة: ألم أخبرك أنك ستعصر عينيك فى بيتى.

ثم حضرت الصلاة. فقال عمر: يابلال، ألا تؤذن لنا رحمك الله؟ فقال بلال: "يا أمير المؤمنين، أما والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ، ولكن سأطيعك فى هذه الصلاة وحدها». فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته، ذكروا نبيهم ﷺ فبكوا بكاء شديداً ولم يكن من المسلمين يومئذ أحد أطول بكاء من أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما، حتى قال لهما عمر: حسبكما رحمكما الله.

فلما كان الغد وصلى عمر بالناس صلاة الفجر قال لأبى عبيدة: «تقدم إلى القوم، وأعلمهم أنى قد أتيت». فخرج أبو عبيدة وصاح بهم: «إن صاحبنا أمير المؤمنين قد قدم، فما تصنعون فيما قلتم؟! فعلم البطريق فخرج من كنيسته وعليه المسوح، وترجل الرهبان والقسس والأساقفة معه، وقد حمل بين يديه صليباً لايخرجونه إلا فى يوم عيدهم، وتقدم إزاء أبى عبيدة وقال: ياهذا الرجل، إن كان صاحبك قد أتى فدعه يدن منا، فإنا نعرفه، وأفردوه من بينكم، وليقف بإزائنا حتى نراه».

فرجع أبو عبيدة إلى عمر وأخبره بما قال البطريق. فهمّ عمر بالقيام، فقال له أصحابه، يا أمير المؤمنين، تخرج إليهم منفرد أو ليس عليك آلة حرب، وإنا نخشى عليك منهم عذراً ومكرا فينالون منك. فقال عمر: قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

ثم أمر ببعيره، فاستوى عليه وسار بين القوم ولبس معه غير أبى عبيدة حتى قرب من السور ووقف بإزاء البطريق. فقال: البطريق: «هذا والله الذى نجد صفته، ويكون فتح بلادنا على يديه». ثم قال لأهل المقدس: «انزلوا إليه، واعقدوا معه الأمان والذمة، هذا والله صاحب محمد بن عبدالله».

فلما سمعت الروم كلام البطريق نزلا مسرعين، وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار، ففتحوا الأبواب، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد والميثاق والذمة، ويقرون له بالجزية.

ولما كان من الغد قام فدخل بين المقدس، وكان دخوله يوم الإثنين وأقام بها حتى يوم الجمعة، وخط بها محراباً فتقدم وصلى هو أصحابه صلاة الجمعة. وكان فتح بيت المقدس فى ربيع الآخر سنة ست عشرة من الهجرة.

ثم يعود الخليفة وأبو عبيدة على الشام أمير أمرائها (١).



---

(١) فتوح الشام ص ٢٤٦ ـ ٢٥٩. تاريخ خليفة ص ٧٣. تاريخ الإسلام ٢/٧٠. البداية والنهاية ٧/٤٥. تاريخ الطبرى ٣/٦٨٠.

نهاية المطاف

أولاً: الرمادة

يحل عام سبعة عشر.. ويبلغ أبو عبيدة السابعة والخمسين من عمره وهو لايزال فى الشام أميراً عليها، يُخضع ما تبقى من بلدانها، ويثبت فيها عقيدة التوحيد.

وبينما هو كذلك إذ تقع فى نهاية العام المذكور مجاعة رهيبة بالجزيرة العربية تُهلك الحرث والنسل، حيث تنقطع الأمصار، وتجدب الأرض حتى ترمد، فسمى هذا العام بعام الرمادة، لشدة القحط الذى أصاب الناس فيه، حتى كان الرجل يذبح الشاة فيعافها لقبحها. وصار المال فى أيدى الناس لا قيمة له، إذ لايجدون لقاءها ما يسد جوعهم (١). وهنا لايجد الخليفة عمر بن الخطاب بداً من الكتابة إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم. وما أن يبلغ كتاب الخليفة إلى أبى عبيدة أمير الشام، حتى يهب منتفضاً من فوره ملبياً نداء إخوانه من المسلمين بالجزيرة، فكان هو أول من قدم المدينة فى أربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه عمر قسمتها فيمن حول المدينة. فلما فرغ أبو عبيدة ورجع إلى عمر، أمر له بأربعة آلاف درهم. فقال أبو عبيدة: لا حاجة لى فيها يا أمير المؤمنين، إنما أردت الله وما قبيله، فلا تُدخل علىّ الدنيا. فقال عمر: خذها فلا بأس بذلك إذ لم تطلبه. فأبى أبو عبيدة. فقال له عمر: خذها فإنى قد وليت لرسول الله ﷺ مثل هذا فقال لى مثل ما قلت لك. فقلت له كما قلت لى فأعطانى. فقبل أبو عبيدة وانصرف إلى عمله، وتابع الناس واستغنى أهل الحجاز (٢).

ثانياً: وفاته رضي الله عنه

ولم تكد المجاعة تنقضى ويرفع الله عن الناس الضر حتى جاءهم نبأ خطير.. وهو أن وباءً فتاكاً فشى فى أرض الشام فى العام نفسه حتى انتقلت

---

(١) الفاروق عمر ١/٢٦٥.

(٢) تاريخ الطبرى ٤/١٠.

عدواه إلى العراق، هذا الوباء كان الطاعون الذى أطلق عليه طاعون عمواس نسبة إلى بلدة عَمَواس - من أعمال فلسطين - .

ولم تكن أنباء هذا الوباء مزعجة فى أول أمره. وكان عمر قد أزمع الذهاب إلى الشام ينظم شئونها بعدما تم فتحها. وسار من المدينة حتى إذا بلغ سرغ على مقربة من تبوك، لقيه أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح، فينبأه أن الأرض سقيمة، فلما سمع عمر هذا الخبر جمع أصحابه يستشيرهم، أيتابع طريقه إلى الشام مع ما فيها من وباء، أم يعود أدراجه إلى المدينة؟ فانتهت المشاورة بقولهم: ارجع بالناس، فإنه بلاء وفناء. فأمر عمر بالعودة قائلاً: إنى راجع فارجعوا. فيبلغ قرار عمر مسامع أبى عبيدة، قال له: أفراراً من قدر الله يا عمر؟ فأطرق عمر ملياً ثم قال: نعم، فراراً من قدر الله إلى قدر الله. وأطرق هنيهة ثم أردف: «أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس يرعى مَنْ رَعَى الجدبة بقدر الله، ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله» ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة (١)..

وبينما الأمر كذلك إذا أقبل عبد الرحمن بن عوف ثم قال: عندى من هذا علم، سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلاتقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه». واطمأن عمر لهذا الحديث وقال: الحمد لله، انصرفوا أيها الناس (٢).

وهوى النجم:

يعود عمر إلى المدينة، وتنصرم السنة، ويحل عام جديد، هو عام ثمانية عشرة للهجرة، ويبلغ أبو عبيدة الثامنة والخمسين من عمره..

ها هو الأجل يدنو يا أبا عبيدة.. وها هو نبيك يا أمين الأمة يدعوك.. لتجاوره الرفيق الأعلى.. لتكون فى صحبة النبيين والصديقين والشهداء.. وحسن أولئك رفيقا..

---

(١) تاريخ الطبرى ٥٦/٤. الفاروق عمر ٢٧١/١.

(٢) تاريخ الطبرى ٥٧/٤، ٥٨.

ذلك أن عمر بعد عودته يسمع باشتداد الوباء بالشام حتى أنه قضى على خمس وعشرين ألف مسلم. فيخشى عمر على صاحبه وحبيبه أبى عبيدة بن الجراح الذى قام فى جنده عند اشتعال هذا الوباء خطيباً: أيها الناس، إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وأبو عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه (١).

فيكتب إليه عمر: «إنى قد بدت لى حاجة إليك فلا غنى بى عنك فيها، فإذا أتاك كتابى ليلاً فإنى أعزم عليك أن تصبح حتى تركب إلى، وإن أتاك نهاراً فإنى أعزم عليك أن تمسى حتى تركب إلى». فما كان من أبى عبيدة إلا أن قال: قد علمت حاجة أمير المؤمنين التى عرضت، وإنه يريد أن يستبقى من ليس بباق. ثم كتب إليه «إنى فى جند من المسلمين، لن أرغب بنفسى عنهم، فإذا أتاك كتابى فحللنى من عزمتك وائذن لى فى الجلوس» فلما قرأ عمر كتابه فاضت عيناه وبكى. فقال له من عنده: يا أمير المؤمنين، مات أبو عبيدة؟! قال: لا. فكتب إليه عمر: إن الأرض أرضك، وإن الجابية أرض نزهة - بعيدة عن الوباء - فاظهر بالمهاجرين إليه». قال أبو عبيدة حين قرأ الكتاب: أما هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه. فذهب أبو عبيدة ليركب، فوجد وخزة، فطُعن (٢). ثم انطلق رضي الله عنه من الجابية إلى بيت المقدس للصلاة، فأدركته المنية بفحل - موضع بالشام - (٣).

ثالثاً: وصيته رضي الله عنه

وتأبى أمانة الأمين أن يموت ولا يوصى من حوله من المسلمين، فيوصيهم رضي الله عنه وهو على فراش الموت وصية مودع قائلاً: أقرءوا أمير المؤمنين السلام وأعلموه أنه لم يبق من أمانتى شىء إلا وقد قمت به وأديته إليه.. وقد كان بعث إلىّ بمائة دينار، فردوها إليه. فقالوا: إن فى قومك حاجة وسكنة. فقال: ردوها إليه. وادفنونى من غربى نهر الأردن إلى الأرض المقدسة. ولكنه تراجع عن ذلك. فقال: ادفنونى حيث قبضت، فإنى« أتخوف أن تكون سنة (٤).

(١) تاريخ الطبرى٤/٦١.
(٢) المستدرك ٣/٢٦٣. وقال عن هذا الخبر: رواته كلهم ثقات.
(٣) المستدرك ٣/٢٦٤. تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٦.
(٤) تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٦.

ثم جمع من حوله من المسلمين، فقال: أنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير، أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا، واعتمروا، وتواصوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولاتلهكم الدنيا، فإن امرءاً لو عمَّر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون.

إن الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم ليوم ميعاده. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يا معاذ بن جبل، صل بالناس[1]. فصلى معاذ بالناس ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ رضي الله عنه فى الناس فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً، فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له.. إنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل ما أزعم أنى رأيت عبداً أبر صدراً، ولا أبعد من الغائلة، ولا أشد حباً للعامة، ولا أنصح للعامة منه. فترحموا عليه رحمةالله، واحضروا للصلاة عليه [2]. فوالله لايلى عليكم مثله.

رابعاً: دفنه رضي الله عنه

واجتمع الناس وأخرج أبو عبيدة وتقدم معاذ فصلى عليه حتى إذا أُتى به قبره دخله معاذ، وعمرو بن العاص، والضحاك بن قيس، فلما وضعوه فى لحده وخرجوا، شنوا عليه التراب، فقال معاذ بن جبل: يا أبا عبيدة لأُثنيَّن عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقنى بها من الله مقت، كنتَ والله ما علمت من الذاكرين كثيراً ومن الذين يَمْشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، وكنتَ والله من المخبتين المتواضعين الذين يرحمون اليتيم والمسكين، ويبغضون الخائنين والمتكبرين [3].

وقد مات الأمين أبو عبيدة رضي الله عنه وانقرض نسله فلم يعقب [4]، ويذكر أن قبره رضي الله عنه ببيان [5]. فرحمك الله يا أمين الأمة رحمة واسعة وجمعك مع النبيين والصديقين والشهداء.. وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٦، ٤٨٧. (٢) المستدرك ٣/٢٦٤. تاريخ دمشق ٢٥/٤٨٧.

(٣) المستدرك ٣/٢٦٤. (٤) سير أعلام النبلاء ١/٨. المعجم الكبير ١/١٥٤.

(٥) أسد الغابة ٣/٢٦. الإصابة ٤/١٣. وبيان: مدينة بالأردن بالغور الشامى: وهى بين حوران وفيسطين. معجم البلدان ١/٦٢٥.

خاتمة

وهكذا.. فهذه رحلة مضت مع علم من أعلام الأمة الإسلامية، هو أمين الأمة، أبو عبيدة بن الجراح، صاحب الأفضال الجليلة، والسيرة الكريمة. ذلك الرجل الذى أثنى عليه كل من شهده، فها هو الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول فيه «والذى نفسى بيده، ما على الأرض رجل من المهاجرين ولا من غيرهم أعدله بك..». وهذا عمر الفاروق قال فيه «أتمنى بيتاً مملوءاً رجالاً مثل أبى عبيدة..». وها هو سعيد بن العاص يقول فيه «هذا أحب إلىّ من ابن عمى فى دينه..». وكان هذا الصحابى الأمين عند عبدالله بن عمرو بن العاص «من أصبح الناس وجوها، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياء..». فكان هذا الرجل كما قال فيه خير البرية ﷺ «نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح». وكان أبرز ما اتسم به هذا الصحابى الجليل كما رأينا أمانته التى جعلته يعتلى بحق منصب أمين الأمة بلا منازع، تلك الفضيلة التى لم ينل شرفها أحد من صحابة رسول الله ﷺ سواه.

وقد أردت أن أستجلى هنا معنى الأمانة وماهيتها، مقابلاً هذا على سيرة هذا الصحابى الجليل لنرى مدى صدق النبى ﷺ حين جعله أمين الأمة دون سواه.

والأمين: من أَمِن - بالكسر - أمانة فهو أمين (١). وقد أَمُن - بالضم - يأمُن أمانة فهو أمين وأُمّان: أى له دين (٢). ويقال ما أحسن أمنك: أى دينك وخلقك. ورجل أُمّان: هو الأمين ذو الدين والفضل (٣). فكان المعنى الأول للأمانة: الدين والخلق. وقد لمسنا هذا المعنى عند سعيد بن العاص عندما خُيِّر بين أم يخرج مع ابن عمه أو مع أبى عبيدة، فاختار الأخير قائلاً مقالته السالفة الذكر. وعن الخُلُق فقد شهد النبى ﷺ له بذلك فى قوله «مامن أصحابى أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه فى بعض خلقه غير أبى عبيدة».

والأمين أيضاً: هو مأمون الغائلة، أى ليس له غور ولا مكر يُخشى (٤)، فهو مأمون: به ثقة (٥)، وأُمَنَه: موثوق به مأمون (٦). ورجل أَمَنَة: يأمنه كل أحد فى كل

---

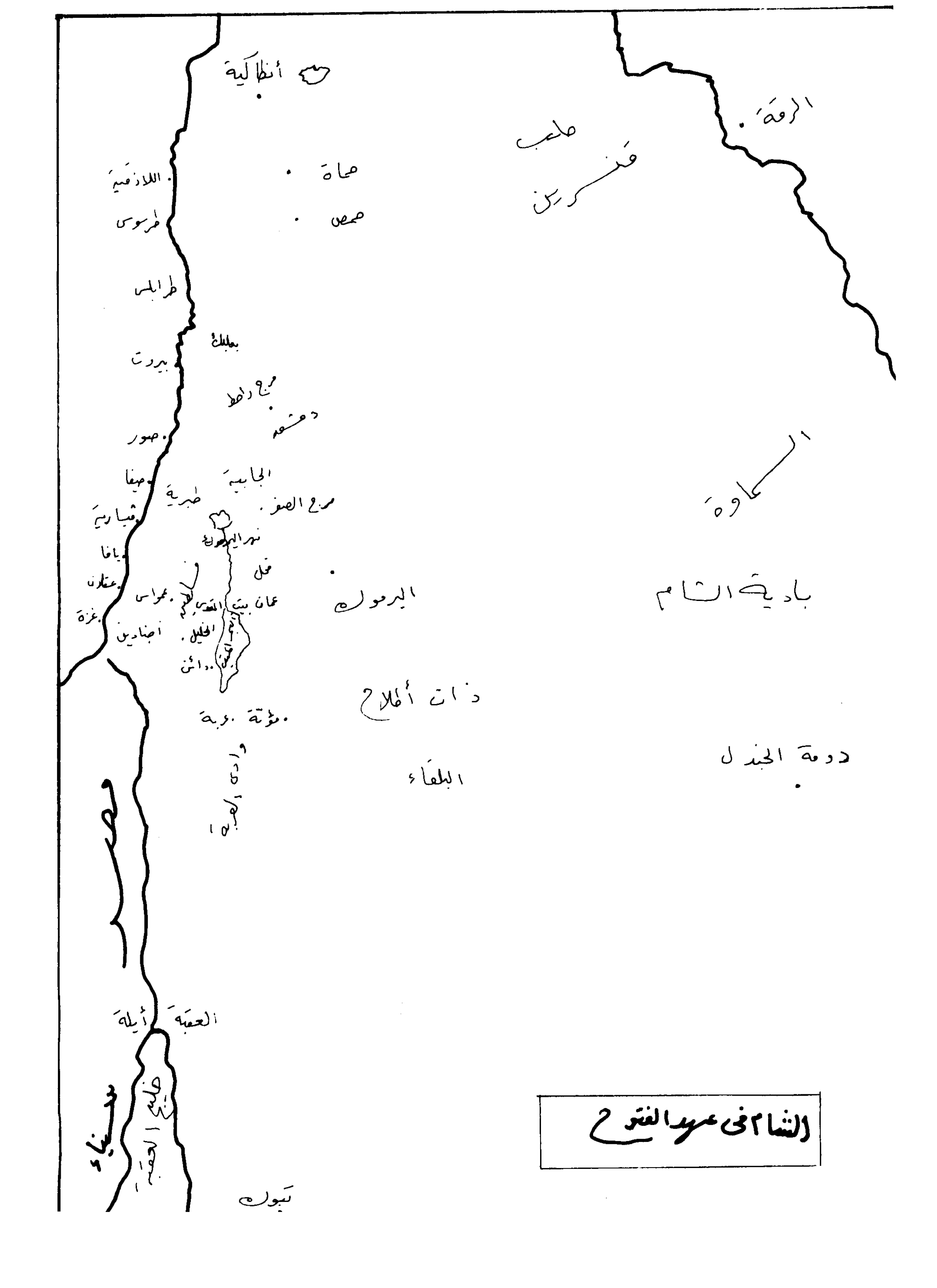
(١) المصباح المنير صـ ٢٤. (٢) تاج العروس ١٢٥/٣. (٣) لسان العرب ٢٢/١٣.
(٤) المصباح المنير صـ ٢٤. (٥) تاج العروس ١٢٥/٩. (٦) لسان العرب ٢١/١٣.

شىء (١). ولعلنا لمسنا هذا المعنى فى أبى عبيدة عند فتحة دمشق، حين أمنه أهل دمشق ففتحوا باب الجابية له دون خالد عاقدين معه الصلح، فلما دخل خالد بابه عنوة - وكان غليظاً معهم - وفَّى أبو عبيدة الصلح وأمضاه لهم.

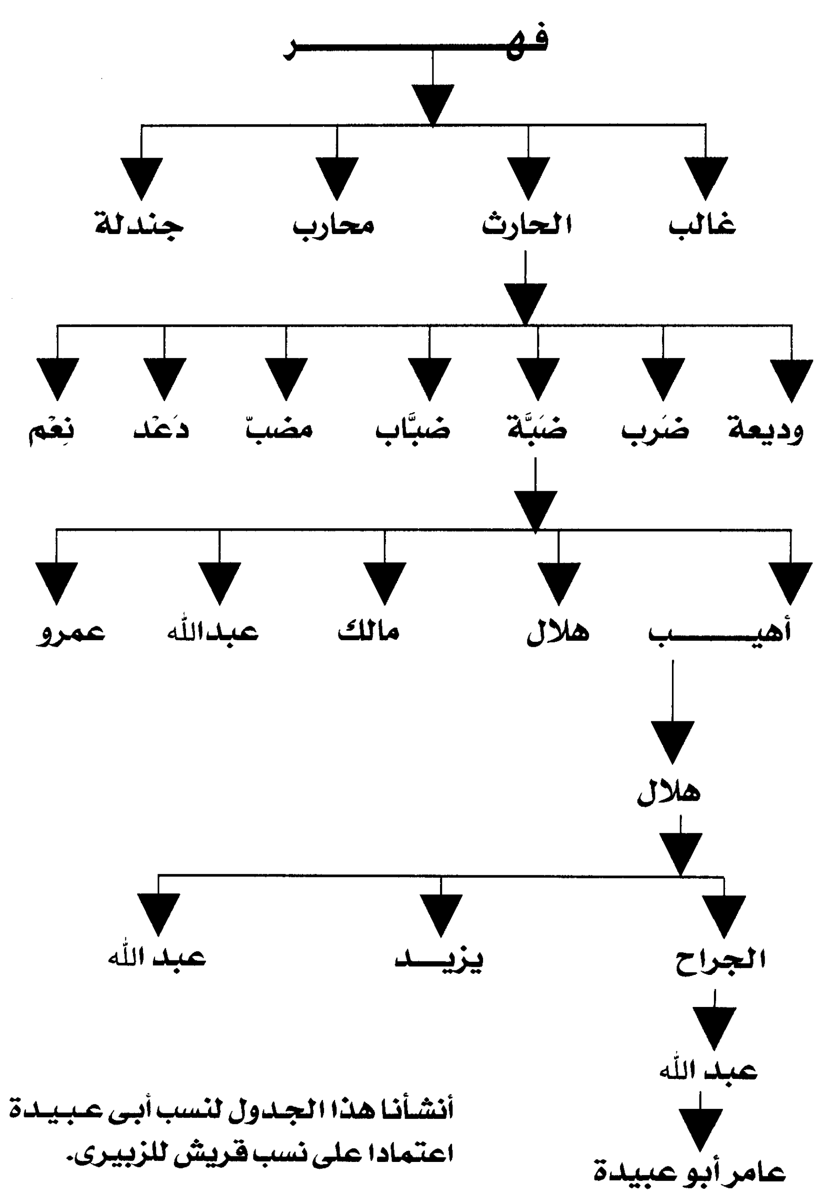
ويقال: رجل أَمَنة: للذى يصدق بكل ما يسمع ولا يكذب بشىء (٢). ونلمس هذا المعنى فى التصديق الفورى من أبى عبيدة لأبى بكر فور سماعه لدعوة الإسلام من الصديق، فكان أبو عبيدة من السابقين الأولين إلى الإسلام. والأمين أيضاً: هو المؤتمن من الأضداد (٣): فأبو عبيدة منذ أسلم وقلبه على ملة واحدة هى حب الله ورسوله وطاعتهما، فلم ينافق، أو يحاب أحداً يبغض الله ورسوله. وحين كان أبوه مشركاً يحارب الله ورسوله فى بدر لم يتوان قلبه الطاهر المؤتمن من الأضداد الذى منذ أسلم لم ينافق الله ورسوله، لم يتوان عن قتل أبيه المشرك. ومؤتمن القوم: الذى يثقون إليه ويتخذونه أميناً حافظاً (٤). ونلمس هذا المعنى عند أبى عبيدة فيما روى عن حذيفة أن ناساً من أهل نجران أتوا النبى ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلاً أميناً. فقال: لأبعثن لكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين، حق أمين. قالها ثلاثاً. فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح (٥). وأخيراً، فالأمين: هو القوى، لأنه يوثق بقوته ويؤمن ضعفه (٦). ونلمس هذا المعنى عند أبى عبيدة فيما قاله ابن عبد البر فى الاستيعاب: «كان أبو عبيدة يدعى فى الصحابة القوى الأمين، لقول النبى ﷺ لأهل نجران: لأرسلن معكم القوى الأمين» (٧). وهكذا يجمع أبو عبيدة كل صفات الأمانة بشتى معانيها، ليصدق النبى ﷺ «أتيت جوامع الكلم» (٨).

---

(١) تاج العروس ٩/١٢٤. (٢) لسان العرب ١٣/٢١. (٣) لسان العرب ١٣/٢١.
(٤) تاج العروس ٩/١٢٥. (٥) الطبقات الكبرى ٣/٣١٤. (٦) تاج العروس ٩/١٢٥.
(٧) الاستيعاب ٢/٧٩٣. (٨) رواه البخارى ومسلم.



الشام في عهد الفتوح



أنشأنا هذا الجدول لنسب أبى عبيدة اعتمادا على نسب قريش للزبيرى.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - أخبار مكة، أبو الوليد الأزرقي، ت: رشدي ملحس، دار الأندلس، بيروت.

٣ - أساس البلاغة، الزمخشري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٥.

٤ - استخلاف أبو بكر الصديق، د. جمال عبد الهادي - د. وفاء رفعت، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٦٨.

٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ت: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.

٦ - الإسلام دين الله في الأرض والسماء، د. جمال عبد الهادي - د. وفاء رفعت، دار الوفاء، ط٤، المنصورة، ١٩٩٤.

٧ - أطلس تاريخ الإسلام، د. حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

٨ - الإصابة في تميز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩ - البداية والنهاية، ابن كثير، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٧.

١٠ - تاج العروس، الزبيدي، بيروت.

١١ - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

١٢ - تاريخ الإسلام، الذهبي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦.

١٣ - تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ - تاريخ دمشق، ابن عساكر، ت: محب الدين العمروي، دار الفكر،

بيروت، ١٩٩٥.

١٥ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

١٦ ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية، د. السيد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٨.

١٧ ـ التاريخ الكبير، محمد ابن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت.

١٨ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر، بيروت.

١٩ ـ تفيسر ابن كثير، ابن كثير، دار الشعب، القاهرة.

٢٠ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج المزي، ت: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

٢١ ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ ـ جامع المسانيد والسنن، ابن كثير، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، بيروت، ١٩٩٤.

٢٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر، بيروت.

٢٤ ـ حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مهرجان قراءة ٢٠٠٠.

٢٥ ـ دولة الرسول في المدينة، د. محمد العربي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٨.

٢٦ ـ دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، ت: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٨.

٢٧ ـ الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الحديث،

القاهرة، ١٩٩٢.

٢٨ ـ زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ت: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٢٧، بيروت، ١٩٩٤.

٢٩ ـ سفر نامة، ناصر خسرو، ترجمة: د. يحى الخشاب، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٣.

٣٠ ـ سنن الترمذي، أبو عيسى بن عيسى الترمذي، دار الحديث، القاهرة.

٣١ ـ سير أعلام النبلاء الذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٧، بيروت، ١٩٩٤.

٣٢ ـ سيرة الرسول (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)، رفاعة الطهطاوي، مكتبة الأداب، القاهرة.

٣٣ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، دار الجيل، بيروت.

٣٤ ـ الصديق أبو بكر، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، ط٧، القاهرة.

٣٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٣٦ ـ الطبقات الكبري، ابن سعد، ت: محمد عبدالقادر، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

٣٧ ـ الفاروق عمر، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، ط ٦، القاهرة.

٣٨ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ابن حسان الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

٣٩ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الكتب العربي، ط ٤، بيروت، ١٩٨٣.

٤٠ ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤١ ـ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، الشيخ محمد الخضري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٨.

٤٢ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبدالوهاب وولده عبدالله، المكتبة السلفية، القاهرة.

٤٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، بيروت.

٤٤ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٥ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٦ ـ فتوح الشام، الواقدي، دار ابن خلدون، الإسكندرية.

٤٧ ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣.

٤٨ ـ المصباح المنير، أحمد المقري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩ ـ المعارف، ابن قتيبة، ت: د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة، ط٤، القاهرة.

٥٠ ـ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩.

٥١ ـ المعجم الكبير، الطبراني، ت: حمدي عبدالمجيد، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت.

٥٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفيف من المستشرقين، نشر: د. أ. ي ونستك، مكتبة بريل، مدينة ليدن، ١٩٣٦.

٥٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة.

٥٤ ـ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٠.

٥٥ ـ المغازي، الواقدي، ت: د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤.

٥٦ ـ المقايس، في اللغة، بن فارس، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

٥٧ ـ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، د. أحمد الشريف، دار الفكر العربي، ١٩٨٥.

٥٨ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ت: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

٥٩ ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، محمد السعيد بسيوني، دار الفكر، بيروت.

٦٠ ـ موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، المكتبة السلفية، ١٩٨٥.

٦١ ـ نسب قريش، أبو عبدالله الزبيري، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٢.

٦٢ ـ فتوح الشام، محمد بن عبدالله الأزدي، تحقيق عبدالمنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٠.

فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٢٥٥/ ٢٠٠١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١